

زيد بن علي الوزير

دور العقل في الحضارة الإسلامية



دور العقل

في الحضارة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى 2025 م - 1447 هـ



www.al-masar.org

mjltalmsar@gmail.com

yemenhrc@gmail.com



تقديم مجلة المسار

كيف تُبنى الحضارات؟ وكيف تنهار؟ سؤالٌ يطرحه المفكرون عبر العصور، لكن قلةً منهم من خاضوا في الجرح الإسلامي بعمقٍ وجرأة، كما يفعل أستاذنا زيد بن علي الوزير في هذه الدراسة؛ هنا، بين دفتي هذا العمل، لا يُقدّم المؤلف تاريخاً سرديّاً للحضارة الإسلامية، بل يُشرع مبضع النقد في جسد أمةٍ كانت يوماً "أمة القِيم"، فتحوّلت إلى "أمة القيود".

لقد قامت الحضارة الإسلامية على أساسٍ متين من التوازن بين العقل والوحي، وبين الحرية والضوابط، وبين الإبداع والالتزام.

ونظراً لكون العقل أداةً للتفكير والتأمل، ووسيلةً لفهم الوحي والكون والإنسان؛ فقد رفع القرآن الكريم من شأنه، وجعله مناطَ التكليف ومحلّ الخطاب، وامتلات آياته بالدعوة إلى إعمال الفكر والنظر والتدبّر. بل جعل العقل أساساً لفهم الوحي نفسه، ليؤكد على أن الفهم والعلم والقراءة هي المدخل الحقيقي للتدين والمعرفة. ومن هنا، لعب العقل دوراً مركزياً في بناء الحضارات؛ حيث لم يكن مجرد أداة معرفية، بل كان جزءاً من الهوية الثقافية والدينية، ومقوماً أساسياً في علوم الدين والدنيا. باعتباره القوة التي تمنح الإنسان القدرة على إدراك العالم، وتمييز الحقيقة، وصياغة القيم، وربط المبادئ.

(1)

ولم يكن الحديث في المحاضرة عن ماهية العقل، فذلك مبحث أصولي فلسفي آخر، اختلف تعريفه حسب طبيعة الفلسفة والسياق التاريخي فهو عند البعض أداة للمعرفة، وعند آخرين طريق للخلاص، وأحياناً أداة للهيمنة أو حتى للاغتراب.

- حيث يرى أفلاطون أن العقل هو أعلى قوى النفس، وهو وسيلة إدراك عالم المثل (العالم الحقيقي) بخلاف الحواس التي تدرك عالم الظواهر (المزيف). فالعقل مرتبط بالحقيقة والخلود.
- أما أرسطو فيفصل بأن العقل جزء من النفس، ويتكوّن من عقل فعّال (يُعطي المعاني) وعقل مُنفعل (يتلقّى المعاني). فهو أداة التفكير العلمي والتصنيف المنطقي.
- وعند الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا: العقل قوة فطرية في الإنسان تتدرج من عقل بالقوة إلى عقل بالفعل، ثم إلى عقل مُستفاد. فالعقل يرتقي بالمعرفة حتى يصل إلى الاتحاد بالعقل الفعّال (وهو عقل كوني شبه إلهي).
- ويميز الغزالي بين «العقل الغريزي» و«العقل المكتسب» و«العقل المجرب»، وكان يميل إلى تقييد العقل أمام الوحي، مع اعترافه بأهميته كأداة للمعرفة.
- في حين يرى ابن رشد أن العقل هو وسيلة لفهم الشريعة والطبيعة

معاً، وأكّد على التلاقي بين الفلسفة والدين، قائلاً: «الشرعية حق والفلسفة حق، وهما لا يتعارضان».

- وفي الفلسفة الغربية الحديثة، يذهب ديكارت إلى أن العقل جوهر الذات: «أنا أفكر إذن أنا موجود». فالعقل عنده هو المصدر الوحيد للمعرفة اليقينية، والمشكلة هي الشك.
- بينما يفرق كانط بين: العقل النظري؛ لفهم الطبيعة والحقائق. والعقل العملي؛ لفهم الأخلاق والواجب. وكان يرى أن العقل لا يستطيع تجاوز عالم الظواهر إلى الشيء في ذاته.
- وهيجل، يرى أن العقل هو جوهر الوجود نفسه، والتاريخ يتطور وفق عقل كوني يسعى لتحقيق الحرية.
- أما نيتشه فهاجم العقل باعتباره أداة سيطرة أفسدت الروح الحرة، واعتبر أن الغرائز أكثر صدقاً من عقلانية زائفة.

ويظهر أن هذا الاختلاف تكون نتيجة تعدد الزوايا التي يُنظر منها إلى العقل، فالعقل النظري يُعنى بالمعرفة والعلم والمنطق. والعقل العملي؛ يهتم بالأخلاق والاختيار والإرادة. والعقل التأملي؛ يبحث في الوجود والمعنى والميتافيزيقا. العقل الأدوات؛ يُستخدم كوسيلة لتحقيق غايات مادية (انتقده مفكرو مدرسة فرانكفورت).

(2)

وفي مقدمته أعادنا أستاذنا الوزير إلى الجدل بين مفهومي الحضارة:

(الماديّ التطبيقي) و(الروحيّ القيمي)، ليكشف أن الصواب لا يكمن في الانتصار لأحدهما، بل في الجمع بينهما. موضحاً أن الحضارة الإسلامية لم تكن يوماً أعمدةً من رخام أو أنهاراً من ذهب، بل كانت روحاً إنسانيةً حوّلت الصحراء إلى مناراتٍ للعلم، والأعراب إلى فلاسفة، والصفر إلى ثورةٍ رقميةٍ سبقت عصرها بألف عام. وذلك ما كانت تتطلبه تلك المرحلة الزمنية. وفي نفس السياق يُقارن ببراعة بين الحضارات الغابرة، كال يونانية الرومانية، التي احتكرت المعرفة للمدن واستعبدت الأرياف، وبين الحضارة الإسلامية التي جعلت من الخوارزمي والجزري وابن الهيثم "أنبياء علم"، لأنهم سخّروا العقل لخدمة الإنسان، لا لإبادته. ثم أتت الحضارة الغربية الحديثة، التي هي امتداد للحضارة الرومانية فورثت آلة الحرب الرومانية، ووظّفت علوم الفلاسفة والمفكرين لصنع الديناميت والقنابل.

(3)

في بداية المحاضرة تطرق إلى تأكيد القرآن على دور العقل ومكانة في معرفة الخاق وضبط مسار التشريعات، وذكر أن علماء الإسلام، منذ القرون الأولى، لم يروا تعارضاً بين العقل والنقل، بل تعاملوا مع العقل كوسيلة لفهم النص وتطبيقه، وكانت التيارات الفكرية العقلانية تؤكّد على أن العقل ليس فقط ضرورة لفهم الدين، بل هو معيار للتمييز بين الصواب والخطأ، والعدل والظلم، فأثمر احترام العقل في الحضارة الإسلامية عن ازدهار العلوم العقلية والتجريبية، مثل الرياضيات، والطب، والفلك، والفلسفة. وأصبحت

المساجد معاهد للعلم، نشأ فيها علم الكلام والمنطق والفلسفة، وكان العقل حاضراً بقوة في تفسير النصوص، وشرح الظواهر، وتطوير المعارف.

ولكن ذلك الزحم لم يخلُ من الشوائب، فقد ظهرت تيارات إسلامية أخرى آثرت الكسل الفكري بالاعتماد على التقليد والعمل بالمقولات الجاهزة والذهاب معها حيثما ذهبت دون تمحيص أو نقد في عمق معاني المقولات المروية ومقاصدها ومدى انسجامها مع المسار العام للخطاب القرآني وحقيقة التوحيد والعدل اللاهبي وقضايا العقل الكبرى.

ويوثق الوزير معارك ضارية بين أنصار العقل وحرية الإرادة من جهة، والجبرية من أصحاب النقل، الذين أسلموا العقل للقضاء والقدر، وسلّموا السلطة لحكام مستبدّين من جهة أخرى. حتى إن المتوكّل العباسي صادر العقل باسم الدين، كما يصادر الطغاة اليوم الحرية باسم الوطن!

ولم يكتفِ الكاتب برصد تطورات تلك الأزمة، بل حفر في جذور الانهيار، مثل: تحريم الاجتهاد حين أُغلق بابُ العقل باسم “سدّ الذرائع”، وتحول الفقه إلى نصوصٍ مُحَنّطة. وكذلك تجيير الدين للسياسة، حين استُخدمت “المدارس النظامية” لصنع فقهاء يبرّرون سلوك السلاطين. كما تناول تزوير التاريخ، وتحويله إلى سرديات تخدم السلطة.

(4)

لم تخمد جذوة الفكر تماماً، بل بقيت كامنة في رماد الأزمة، تنتظر من ينفخ فيها. ومع يقظة الشرق على يد جمال الدين الأفغاني وتلاميذه، عادت

المدرسة العقلانية تنبض بالحياة، لكن سيوف الجمود كانت لها بالمرصاد، فحجّمت انطلاقتها، وأعدت الحلقة باسم الدين، بينما بقيت الشورى غائبة، والفكر مسجوناً خلف قضبان الفقه السلطاني.

ويشير الكاتب إلى أن الحضارة يوم أشرفت كانت ثمرةً لفكر حرّ وعقل منطلق، فلما حلّ مكانه التمذهب والانغلاق، ذوت الأغصان، وتحول التاريخ إلى مرآة ملوثة تعكس أهواء السلطان، وغدا الكذب على النبي والتاريخ معاً سبيلاً للتسلط، تسلت الظلمات من جديد.

وما علم الجرح والتعديل، إلا محاولة شريفة لنخل الرواية، لكن سقط المنهج في برائث المذهبية، فاستثنى الصادق لأنه خالف، وقُبل المدلس لأنه وافق. ولما تماهى المؤرخ مع الحاكم، صار التاريخ تبريراً لا تبييناً، وصار يزيد رمزاً للخلافة، والعبيديون زنادقة دون محاكمة، فقط لأن العصبية والمصلحة حكمتا المعايير.

وفي هذا المشهد الموجه، بزغت أسماء مثل نظام الملك، ممن امتلكوا أدوات الإصلاح، لكنهم استخدموها لترسيخ الاصطفاء السلطاني والتمييز المذهبي، فحرّمت العقول من العلوم العقلية، وضُيقت آفاق التعليم، وانحصر الدين في مذاهب بعينها، صارت "الناجية" بقوة السلطان، لا برهان البيان. ويخلص إلى أن استعادة المكانة الرفيعة للعقل في واقعنا المعاصر ليست ترفاً فكرياً، بل ضرورة حضارية، حتى يستعيد الإنسان المسلم دوره الفاعل في بناء حضارة تقوم على الفكر، والعدل، والعلم.

(5)

القسم الأخير من الكتاب سجلًا ملتهبٌ يكشف عن انقسامٍ لا يزال يشقّ جسد الأمة، وقد خرج به أحد المشاركين - واسمه أبو الليث الرفاعي - عن موضوع المحاضرة، واستمر على شكل مراسلاتٍ لعدّة أسابيع.

• في البداية، حذر الرفاعي من التأويلات العقلانية واعتبرها "تُسيء إلى الإسلام"، مؤكّدًا أن العقل محدود، ويجب أن يخضع للنص القرآني. فردّ عليه الوزير قائلاً إن العقل أداة لفهم النصوص، وهو أصل الحجج؛ فبه عرّف الله، وبُعثت الرسل، ونزل الكتاب.

• ثم انتقل السجل إلى مسألة العروبة والإسلام، حينما ربط الرفاعي الإسلام بالعروبة لغةً ووعاءً ثقافيًا، واتّهم «الفرس» بالتشويه التاريخي. لكن الوزير رفض النفس العنصري، وأكّد أن الإسلام حضارة إنسانية شارك في بنائها مسلمون من مختلف الأعراق، رافضًا مقولة "الشعبوية" التي تتّهم الفرس بتخريب الحضارة، مؤكّدًا أن: الانهيار صنعتها أيادٍ عربية أطفأت شمعة العقل، بينما كان ابن سينا والرازي (من أصولٍ غير عربية) يحملانها في عتمة السجون!

• ثم انتقل السجل إلى النقد السياسي الحديث، حيث اتّهم الرفاعي إيران بالتدخل في العراق وسوريا ولبنان عبر ميليشيات طائفية. بينما دعا الوزير إلى تحرير التاريخ من التزييف، معتبرًا أن المشكلة الحقيقية تكمن في الأنظمة العربية وعمالتها للأجنبي.

• في خروج عن الموضوعية وجه الرفاعي سهام الاتهام إلى شخص الوزير لدخله في سجال شخصي غير أن الوزير ابتعد عن ذلك ويظل يناقش جوهر المشكلة ومثار الاختلاف.

خِتَامًا:

في زمنٍ يغرق فيه العالمُ الإسلامي بين استبدادِ “الفقه السلطوي” وفوضى “التطرف”، يأتي هذا العمل كخارطةٍ طريقٍ:
يُعِيدُ للعقل الإسلامي اعتباره، ويُذَكِّرُنَا بِأَنَّ أَوَّلَ آيَةٍ نَزَلَتْ لَمْ تَكُنْ “اقتُلُوا”، بل “اقرَأْ”.

إنه دعوةٌ إلى إعادة الاعتبار لـ”علم الكلام” الذي أنجب الحضارة، وتبني فكرٍ لا يقوم على فقهٍ يُكْرَسُ التبعية، بل على فكرٍ يُحَرِّرُ الإرادة، ويقطع حبلَ الوصل بين الدين وأدواتِ التسلُّط.

هذا الكتاب ليس مريثَةً لحضارةٍ ماتت، بل صرخةٌ لتجديدٍ ينتظرُ الولادة.

إنه يضع يدَ القارئ على الجرحِ ويصرخ:

“انظروا! لقد قتلنا العقلَ يومًا باسم الدين، واليوم نقتلُ الدينَ باسم العقل!”

إننا بحاجة إلى شيءٍ من التوازن، والموضوعية، والتحرُّر من ردّات الفعل التي خلقها التعصّب الطائفي والاستنفار السياسي.

مدير التحرير

الإهداء

إلى الراحل الكبير صبحي غندور رئيس مركز الحوار العربي بواشنطن تقديرًا لجهوده التي اضطلع بها وحيدًا بإرادة مصممة على الرغم من العوائق الكثيرة فقارب بين المتباعد، ووفق بين المتنافر، وجعل من مركز الحوار ساحة حرة يجول فيها المفكرون يرشدون الضائع، ويهدون التائه حتى حلق مركز الحوار بأجنحة طوال وتجاوز الحدود حتى وصل إلى مشارق العرب ومغاربها؛ كل ذلك نتيجة جهده وإصراره على المضي قدمًا في نشاط لا يقوم به إلا أولو العزم من الناس وأولوا القوة من الفكر. وقد بقي على هذا الحال حتى وهن الجناح وسقط مريضًا ومع ذلك ورغم معاناته من المرض المفترس بقي يجاهد حتى قبيل ساعات من التحاقه بربه حيث ذهب من مستشفى إلى محطة إذاعية ليحاور ويدافع ويقنع ثم عاد إلى المستشفى ليلفظ أنفاسه الكريمة وينطلق إلى رحاب ربه راضيًا مرضيًا.

فإلى روحه النقية في رحاب ربه أهدي هذا الكتاب الذي كان له الفضل الأول في تأليفه.

المقدمة

في يوم الأربعاء 5 ذو الحجة 1437هـ/ 5 سبتمبر 2016م أُلقيت محاضرة في مركز الحوار العربي بمدينة فينا- فرجينيا عن «دور العقل في الحضارة الإسلامية العربية الإنسانية» فأثارت رد فعل عند الأستاذ الدكتور علي عطية عبد الله الرفاعي أبو ليث من العراق¹، فكتب ناقدًا لبعض ما ورد في المحاضرة، بعضه عن دور العقل، وأكثره بعيدًا عن الموضوع وخروجًا عليه فدخل في متاهات السياسة القائمة، بدلًا من دراسة أسبابها ومسبباتها، حتى ابتعدنا كثيرًا عن إطار المحاضرة بعدًا شاسعًا لا يكاد يمت إلى المحاضرة بصلة، وبالضرورة دخلت معه فيما دخل فيه كما ستراه.

ومن حقه أن يرد، ومن حقه أن يدافع عن آرائه ومن حقه أن يعتقد صوابها كما هو حق لي. وكان له الفضل في فتح الحوار -وإن اتخذ مجرى آخر - في ختامه.

والحق أنه مهما كان الابتعاد عن دور العقل في الحضارة وطرح قضايا لا صلة لها به، فقد كان طرحه لا يخلو من منفعة إذ دار النقاش حول قومية الإنسان وإنسانية الإنسان، ومضى كل منا يعزز آرائه بما يعتقد، ولا أحد منا

1 عرف نفسه في بعض رسائله بعد اسمه بأكاديمي جامعي، وفي بعضها أستاذ متمرس، جامعة بغداد. والمدير العام الأسبق والمؤسس للهيئة العربية للطاقة الفردية.

يدري من أصاب ومن أخطأ والحكم يومئذ للقارئ. وأنا بالفعل لا أزعج أنني على صواب مطلق ولا أبو الليث على خطأ مطلق - والعكس صحيح - ولكني رويت ما هو صواب فسجلته، تاركًا للقراء أن يكونوا هم من يرون الصواب من الخطأ، والباب ما يزال مفتوحا لكل حوار. فالمراد - على كل حال - هو الوصول إلى الحقيقة منه أو مني أو من غيرنا إذ الهدف من الأبحاث هو تنظيف الساحة مما علق بها من أوزار السياسة الجائحة التي قضت على الفكر المبدع.

والآن وبعد مضي تسع سنوات كنت بالفعل قد نسيتها ولم أعد أتذكر المحاضرة ولا الحوار، وذلك بسبب أنني كتبتها في ملف سميته «أبو الليث» على أساس أنني سأعود إليه لنشره، ومضت السنوات مثقلة بما نحمله من مآسٍ وما نواجهه من مستجدات فأغرقت تلك المحاضرة وذلك الحوار في النسيان، ولو أنني وضعتها في ملف محاضراتي الذي كنت أعود إليه بين وقت وآخر؛ لما نسيتها.

وذات يوم قريب كنت أبحث عن كتاب «حوار في الإمامة» فنقرت على خانة البحث وطلبت «حوار»؛ فإذا بالكتاب وبالمحاضرة أمام عيني فغمرتني سعادة من يجد شيئًا عزيزًا نسيه. وبعد أن أعدت قراءته من جديد لم أجد فيما ذهبت إليه ما يحتاج إلى تعديل. على أنني أريد أن أوضح هنا ما لم أوضحه في المحاضرة.

حضارة روحانية وأخرى مادية

لدي تعريفان للحضارة، أحدهما: للفيلسوف الإسلامي المعاصر مالك بن نبي، والآخر للمفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب رحمه الله، ومن النظرة الأولى يبدو أن متناقضين أو متباعين، ولكن إن أمعنا النظر نجد أنهما ليسا من البعد بحيث لا يمكن التقارب بينهما، لأنهما في رأيي لا يعدوان أن أحدهما يكمل الآخر، كما سنرى. وبحسب رأي الدكتور العراقي علي حسن القريشي في رسالته للماجستير حول ابن نبي، الموسومة بـ«الأسس التربوية للتغير الاجتماعي عند مالك بن نبي»، يرى أن تعريف «قطب» يتصل بالجانب النظري، وتعريف «بن نبي» يتصل بالجانب التطبيقي. الجانب النظري يتعلق بالتفريق بين فكرتي المدنية والحضارة، معتبراً أن ابن نبي كان ناظرًا إلى فكرة المدنية، بينما قطب كان ناظرًا إلى فكرة الحضارة، والجانب التطبيقي يتعلق بالتفريق بين المجتمع الإسلامي الماثل والمجتمع الإسلامي المثل، معتبراً أن «ابن نبي» كان ناظرًا إلى المجتمع الإسلامي الماثل، في حين أن قطب كان ناظرًا إلى المجتمع الإسلامي المثل. وعلى هذا الأساس يرى الدكتور القريشي أن قطب «لم يكن يقصد بكلمة متحضر ذلك المعنى الذي يقصده ابن نبي، فمفهوم الحضارة عند قطب هو مجموعة القيم والعلاقات والنظم، والحضارة بهذا المعنى لا تترادف المدنية، التي هي

مجموعة المنتجات المادية والوسائل المتطورة»¹.

من هنا يمكن القول أن ما طرحه قطب هو إضافة على ما طرحه بن نبي، إذ أن تعريف الحضارة عند مالك لا يعني أن الحضارة خير أو شر، فقد تكون خيراً وقد تكون شراً. وقد نظر سيد إليها من ناحية تطبيقاتها الشرسة، وخلوها من الروحانية. لكن خلوها لا ينفي أنها حضارة. وبهذا يمكن الجمع بين الرأيين الصائبين، خاصة إذا عرفنا الحضارة المدنية بالتمدنية، فيكون عندنا حضارة واحدة ذات مخالب وأنياب، وحضارة ذات روح وريحان. في هذا الصدد أجزم بأن الغالب على الحضارة الإسلامية روحانيتها الإنسانية، وأن الغالب على الحضارة الغربية ماديتها الخالية من الروح الإنسانية. وعليه فأنا أذهب إلى القول بأن الحضارات القديمة اليونانية والرومانية والبيزنطية ذات الصلة بالعالم الإسلامي- كانت حضارة القوة والتوسع، وأنها كانت تضمن بحضارتها على عدم نشرها في البلاد المحتلة بحيث ترى أنها كانت تنقلها معها إلى المدن التي تستقر فيها، ولم تسمح لأهل المناطق المحتلة أن تشاركها في المساهمة في بناء حضارتها، ومن ثم لم تظهر خلال حكمها أي مدن غير رومانية. وكذلك يمكن القول بأن الفلسفة اليونانية قد ازدهرت في أثينا، وانحصرت داخلها، ولم تزدهر مدينة خارجها إلا قليلاً كالإسكندرية، وذلك لأن تلك الحضارات كانت حضارة مدن، لا حضارة

1 نقلا عن زكي الميلاد، فكرة الحضارة بين ابن نبي وسيد قطب، مجلة الكلمة: Kalema. net

شعوب، كانت الأرياف مجرد خدم لمدن تلك الحضارات، وبهذا يمكن القول بأن تلك الحضارات كانت حضارات ذرائعية خالية من الروح الإنسانية.

وعليه فأنا أذهب إلى القول بأن الحضارات القديمة اليونانية والرومانية والبيزنطية ذات الصلة بالعالم الإسلامي- كانت حضارة القوة والتوسع، وأنها كانت تضمن بحضارتها على عدم نشرها في البلاد المحتلة بحيث ترى أنها كانت تنقلها معها إلى المدن التي تستقر فيها، ولم تسمح لأهل المناطق المحتلة أن تشاركها في المساهمة في بناء حضارتها، ومن ثم لم تظهر خلال حكمها أي مدن غير رومانية. وكذلك يمكن القول بأن الفلسفة اليونانية قد ازدهرت في أثينا، وانحصرت داخلها، ولم تزدهر مدينة خارجها إلا قليلاً كالإسكندرية، وذلك لأن تلك الحضارات كانت حضارة مدن، لا حضارة شعوب، كانت الأرياف مجرد خدم لمدن تلك الحضارات، وبهذا يمكن القول بأن تلك الحضارات كانت حضارات ذرائعية خالية من الروح الإنسانية. لقد استقت الحضارة الغربية المعاصرة مواد تركيبها من رافدين:

الرافد الأول: اقتباسها النظام الروماني العسكري الرهيب إلى حد أنه - على نحو ما - انعكاس لتلك القوة الرومانية الهائلة بالذات، فليس للإنسانية محل فيها أيضاً، وليست إبادة الهنود الحمر في أمريكا بأيدي القوات الأمريكية وإبادة الأستراليين الأصليين في أستراليا إلا تطبيق للنزعة الرومانية المختفية تحت إهاب جديد. وفي العصر الحاضر لم تكن الحرب العالميتين التي

أبادت الملايين إلا شكل آخر لهمجية القوة، وفي هذا العصر؛ فما يجري الآن في فلسطين مثال حي على حضارة المصالح النفعية القائمة على إبادة الإنسان.

الرافد الثاني: تمثل في المفكرين الذين اقتبسوا علومهم من التمدن الحضاري الإسلامي الذي نقل إليهم الفلسفة اليونانية والصينية والفارسية فأحياهم من رميم. ويمكنني القول بأن الاستكشافات العلمية الهائلة - ولا أقول الاختراعات - قد خضعت أو أخضعت للحكام ليستغلوها في إبادة خصومهم، واكتشاف الديناميت على يد ألفريد نوبل (7 جمادى الآخرة 1249هـ/ 21 أكتوبر 1833م إلى 7 رجب 1316هـ/ 10 ديسمبر 1896م) مثلاً حياً لاستخدام الديناميت لا لخدمة الإنسان، وإنما لهلاك خصومهم. وبدلاً من أن تخدم الإنسان تصبح أداة لقتل الإنسان. ولما عرف نوبل ما جره استكشافه من تدمير الإنسان ندم على ما اكتشف، فأوصى بكل ثروته الهائلة لتصرف على أعظم فائدة للبشرية تكفيراً لذنبه بما يعرف الآن بجائزة نوبل للسلام. لكن هذه الجائزة النبيلة تستغل الآن لأغراض سياسية السياسيين، كما استغلوا ذلك المستكشف الرائع الذي يمكن أن يخدم الإنسانية لقتل الإنسانية.

وإذا كانت الحضارة الرومانية تعتبر حضارة المدن؛ فإن التمدن الحضاري يعتبر حضارة المدن والأرياف معا، حتى بدت الساحة الإسلامية مدنا وريفا - في أبان التمدن الإسلامي - مزهرة تتلأأ فيها الأنوار من كل جهة، وكل

ذلك تم بعيداً عن الحياة السياسية العابثة والمضطربة، وليس بالضرورة أن يبدع الفكر تمدنه في ظل وضع سياسي متهالك. وإذ تشابه مولد الاستكشافات الغربية بمولد التمدن الحضاري الإسلامي من حيث أن الاثنين ولدا في حضن العلماء المفكرين، أو بتعبير الإمام الأكبر مصطفى عبد الرزاق شيخ الجامع الأزهر (2-1303هـ/1885-18 ربيع الأول 1366هـ/5 فبراير 1947م) ولدت في حضن علم الكلام ولقوله هذا اعتبار كبير فهو بحق مجدد الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث، وصاحب أول تأريخ لها بالعربية، ومؤسس المدرسة الفلسفية العربية التي أقامها على أسس إسلامية خالصة، يقول: «إن نشأة التمدن الإسلامي تلتبس في علم الكلام لا في السياسة، أي أن التمدن الإسلامي لم يكن وليد السياسة، لكنه وليد الفكر المبدع، والدليل على ذلك أن القرن الرابع الهجري كان عصر ازدهار التمدن الحضاري بينما كان الاضطراب السياسي في أوج انحداره. وكذلك ولد الفكر العلمي في الغرب بعيداً عن السياسيين.

وإذ اتفق المولد اختلفت النشأة والتطبيق، فالعلماء المسلمون توجهوا نحو استكشاف ما ينفع الناس فلم يجد فيها السياسيون ما يستغلونه للفتك بخصوصومهم، بينما توجه المستكشفون الغربيون إلى ما ينفع الناس ويضرهم، فاستخدم السياسيون الغربيون اكتشاف الديناميت والذرة والهيدروجينية إلخ، التي جاءت لمنفعة الناس فإذا بالسياسيين يستخدمونها لقتل البشرية بوحشية لا توصف. كان التمدن الإسلامي مشبعاً بالروح الإنسانية فازدهرت المدن

والأرياف وامتدت في كل مناطق العالم الإسلامي، وفاقت تلك المدن العربية تلك المدن، وفاق علماءها علماء الغرب، وهكذا أسهم التمدن الإسلامي المادي والروحي في حياة خففت من ظلم السياسة وجورها، وازدهرت فيها العلوم والفلسفة والأدب والمعاجم والابتكارات العلمية الإنسانية، وشهد كثيرًا من علماء التكنولوجيا الكبار من مثل العلامة محمد بن موسى الخوارزمي (161هـ/781م - بعد 232هـ/847م) عالم الرياضيات الكبير، ومخترع الصفر، والتي أدت بحوثه إلى تسهيل العملية إلى اكتشاف الكمبيوتر، فيما يسمى الطريقة الخوارزمية، كذلك العلامة أبو العز إسماعيل بن الرزاز الملقب بالجزري (530هـ/1136م - 633هـ/1206م) الذي يعتبر من أعظم المهندسين والمستكشفين في التاريخ، ويُوصف بأنه أبو علم الروبوتات والهندسة الحديثة الآلية، وكذلك العلامة الحسن بن الحسن ابن الهيثم المؤسس الأول لعلم المناظر ومن رواد المنهج العلمي، وهو أيضًا من أوائل الفيزيائيين التجريبيين الذين تعاملوا مع نتائج الرصد والتجارب وله اكتشافات كبيرة في الرياضيات والبصريات وعلم الفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية والإدراك البصري والعلوم بصفة عامة بتجاربه التي أجراها مستخدمًا المنهج العلمي، وله العديد من المؤلفات والمكتشفات العلمية التي أكدها العلم الحديث.

ولن أطيل في استعراض الأمثلة؛ كجهود ابن سينا في الطب، وغيره من الأطباء الذين كان لهم اكتشافات صحية رائعة، ولا تجربة ابن فرناس وغيره

في الطيران، إذ المقصود هو إيضاح الفرق بين الحضارة المادية والتمدن الحضاري الإنساني. والإشارة إلى التمدن الحضاري الذي نجهل كثيراً من إبداعاته واكتشافاته، وبالرغم من وجود كتب تتحدث عنها، لكنها بالنسبة لما ينشر من كتب الفقه تكاد لا تبين، والمرجو أن يتوجه الناس لإحياء هذا التمدن الإسلامي بهمة واهتمام عبر كل وسائل الاتصالات المتاحة والمتيسرة لما في ذلك من فوائد أهمها أن تشهد أعينهم، وتلمس أيديهم ذلك التمدن الحضاري الفذ بدلاً من أن يتغنوا بشيء لا يعرفون عنه شيئاً، ولم يتحول إلى سلوك معرفي مشاع. وأنا لا أدعي أن الحكام المسلمين-من بعد الإمارة الراشدة- لم يمارسوا العنف والبطش، فالواقع أنهم مارسوه بضراوة؛ لكن الفارق بين عنفهم وعنّف الحضارة الغربية أن علماء التمدن الحضاري لم يميلوا إلى استكشاف المبيدات، وإنما مالوا كل الميل إلى استكشاف ما ينفع الناس. ولذلك فلم يجد الحكام من الوسائل المبيدة ما يهلكون به خصومهم، وهذا دليل حاسم على أن أدوات التمدن الحضاري الإسلامي كانت مشبعة بالروحانية.

أسباب تغييب العقل في بناء الحضارة الإسلامية

ولما كانت المحاضرة عن دور العقل في الحضارة الإسلامية العربية؛ لم تتعرض لسبب انهيارها، فأراني ملزماً بأن أتعرض هنا لسبب له صلة بدور العقل الإيجابي في البناء وإخراجه من ذلك الدور، حيث حورب فغاب، ومن أسباب تغييبه:

السبب الأول: هو الصراع الحاد الذي نشب بين علماء الفقه من جهة وبين علماء الفكر من جهة أخرى، وإذ أيد الخليفة المأمون والمعتصم والمنتصر علماء الفكر؛ عاداهم بضراوة من جاء بعدهم من علماء الفقه، فطاردوا المعتزلة والإسماعيلية والفلاسفة والمستكشفين، وكل ما هو خارج عن علوم الدين، من حديث ومسائل العبادة وكل ما يحتويه الفقه، فحُرمت قراءة كتب المعتزلة وأُحرقت كتب الإسماعيلية، كما أُحرقت كتب ابن رشد في إسبانيا، وُخُنقت الحريات واستبيحت الدماء، فقتل المقتدر العباسي الحلاج لمناصرتة الضعفاء، كما قتل صلاح الدين شهاب الدين السهروردي، مع أنه - كما يقول ابن أبي أصيبعة - «أوحد في العلوم الحكيمة بارعاً في الأصول الفقهية مفرط الذكاء جيد الفطرة». ويعقب د محمد يوسف موسى: «ولكن الفقهاء شنعوا عليه ورموه بالتفلسف والإلحاد بعد أن كان ناظرهم في حلب فأفحمهم»¹. وكفّر الغزالي ابن سينا في كتابه (المنقذ من الضلال)، وكرر نفس الأدلة ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)، وكذلك ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب)، الذي قال: «إنّ كتابه (الشفاء) اشتمل على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين». أما ابن تيمية الذي ذهب

1 محمد يوسف موسى، ابن تيمية، بيروت: العصر الحديث، الطبعة الثانية 1408هـ/ 1978 ص 52. مع ان الدكتور نفسه دافع عن ابن تيمية مع انه من اشد الناس تعصبا ضد ما كان يسمى علوم الحكمة ولم ينل منه شيئا، فإذا استثنينا هذه النقطة وهجومه على من يسميهم الرواض فإن كتابه معتدل البحث.

بعيداً في أفكاره فقد أكد أنه كان من الإسماعيلية. وهي عنده تهمة؛ بل إن الذهبي ذهب إلى القول: إن الغزالي كفره في كتاب (المنقذ من الضلال) وكفر الفارابي. وقال الذهبي في (تاريخ الإسلام): «هو رأس الفلاسفة الإسلاميين، الذين مشوا خلف العقول، وخالفوا الرسول». وقال في (ميزان الاعتدال): «إنه فلسفي النحلة، ضال». ومن رأي الذهبي أن من ينظر في الفلسفة الإلهية «لا يرجى فلاحه، ولا يركن إلى اعتقادها من يلوح نجاحه، فإن هذا العلم في شق، وما جاءت به الرسالة في شق، وما دواء هذه العلوم وعلمائها القائمين بها علماً وعملاً إلى التحريق والإعدام من الوجود؛ إذ الدين كان كاملاً حتى عُربت هذه الكتب ونظر فيها المسلمون، فلو أُعدمت لكان فتحاً مبيناً». وعقب د. محمد: «يالله ما أشد هذا التعصب»¹. ونسي الذهبي وغيره أن الله سبحانه وتعالى دعا المسلمين أن يسيروا في الأرض فينظروا ما فيها، ويستكشفوا ما عليها، ونسي قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

والسبب الثاني: تحريم الاجتهاد وإيجاب التقليد، وفي هذا الصدد لم يغب العقل وحده بل تجرد الفقه في أطر حاضرة يكرر نفسه ويؤكد هذا د. محمد يوسف حيث يقول (كانت الظاهرة التي تسود هي العكوف على ما وصل

1 محمد يوسف موسى، ابن تيمية، ص 54.

أهله من تراث العرب والمسلمين السابقين - وهو تراث قيم مجيد بلا ريب - وكان عملهم فيه هو الانكباب عليه لفهمه والإفادة منه، ثم الزيادة عليه ما وسعهم الجهد، دون خروج عن الروح الذي كان يسري فيه وهو التقيد بالأفكار والآراء التي وصلت إليهم عن الفقهاء والمتكلمين ونحوهم من رجال الدين، وكان من ذلك جمودهم على المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة، يوجبون تقليد واحد منها، وكانوا في هذا متأثرين بالفقهاء السابقين الذين حكموا بسد باب الاجتهاد في القرن الرابع، وقد استمر ذلك فيما بعد وربما ما يزال ذلك حتى اليوم¹. وأكد هذه الحقيقة ابن خلدون بعد أن تحدث عن هذا التقليد، فذكر أنه لا محصول اليوم للفقهاء غير هذا، ومدعي الاجتهاد في هذا العهد مردود على عقبه، مهجور تقليده، وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأربعة².

وهذه أمثلة من أمثلة عدة أضربها للناس من أجل أن يعرف الناس أحد

¹ محمد يوسف موسى، ابن تيمية، صص 49-50. وهذا الجمود اسميته في كتابي ازمة الفقه السياسي بظاهرة القمم وأعني به التوقف عند القمم المجيدة وتحريم تجاوزها، ويتضح ذلك من وقوف الأتباع مبهورين أمام أئمة المذاهب. سنجد الأتباع يعتقدون أنه لم يأت ضمن المذهب من هو أفضل من المؤسس فلم يأت في الشافعية من هو أعلم من الشافعي ولم يأت في الحنفية من هو أعلم من أبي حنيفة الخ. من هنا شكلت هذه الظاهرة استسلاما عاجزا عن الإتيان بالأفضل، وتوقفا راضيا عند سفوحها على أحسن تقدير.. وهذا أدى بدوره إلى اعتبار الرأي الجديد من الداخل أو الخارج بمثابة تمرد على الريادة، أو تطاول على القمم.

² ابن خلدون مقدمة ابن خلدون، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور علي عبد الواحد وافي القاهرة: نهضة مصر، الطبعة الخامسة يوليو 2010م الجزء الثالث ص 951.

أسباب غياب دور العقل في التمدن الحضاري الإسلامي من جهة على وجه الاختصار، ومن جهة أخرى ليعرفوا الفرق بين الحضارة المادية الصرفة، والحضارة الروحية التي لم تنس نصيبها من الدنيا، وأحسنّت إلى الناس.

دور العقل في الحضارة الإسلامية 1

أيها الناس الأحباء. السلام عليكم ورحمة الله².
جرت العادة أن يبدأ المحاضر بشكر مقدم الحفل، وأراني في هذه
الأمسية أخالف هذه الطريقة، فلا تتوقعوا مني أن أشكر صديقي
صباحي، بل أشكوه إليكم! فهو لا يرحم ولا يساوم ولا يلين، سواء
أكنت خارجاً من مرض أم داخلياً فيه، فإنه بسبب عظيم اهتمامه
برسالته يكتسح كل عذر واعتذار. ويا ويلك من صباحي إذا توجه إليك!
ومع كل ذلك، فأنت غير قادر إلا على شكره وتقدير جهوده في خدمة

1 كانت المحاضرة بعنوان «دور العقل في الحضارة الإسلامية العربية»، ثم رأيت أن أتجاوز الوصف
بالعربية؛ لأن التمدن الحضاري الإسلامي قد اشترك في أدواته - عبر القرون - علماء الكلام
والسومريون والصابئون والنصارى واليهود، بسبب التوسع وبسبب ما أعطاهم الإسلام من حق حرية
المعتقد، فالأساس هو الإسلام، ولولا الإسلام لما كان الحضارة المتقدمة، ومن ثم فمن الظلم أن
يضاف إليها من لم يكن سبباً في خلقها.

2 اعتاد المحاضرون أن يستهلوا محاضراتهم بالقول: سيداتي وسادتي أو أخواني وأخواتي، ولكنني
خالفتهم وعدت إلى خطاب القرآن الكريم للناس من ذكر وأنثى، ليتحملوا مسؤولياتهم سواء، دون
تفريق، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يخطب إلا بقوله: أيها الناس. دون تفريق لأن
المسؤوليات مشتركة بين الشقائق.

أُمته، لما يقوم به من جهد في هذا السبيل، مما يرغمك على الاستسلام له، ليقينك أن مطالبه ليست لذاته، بل للنخبة المتميزة والتيار العربي القائد، فله الشكر والتقدير على جهوده المتميزة.

طلب مني أن أتولى القيام بألمسية شعرية فوافقت، لأن الحديث عن الشعر وإلقاء القصائد لا يكلف كثيرًا من العناء ولا يرهقني، وأنا الخارج من مرض. وما كنت أدري أن هذا العرض لم يكن سوى طعم صادني به في شبابه الحرية الناعمة، فإذا هو يطلب مني محاضرة عن مرجعية العقل، وعن كيفية فهم التاريخ، وعن دور المرأة. وكما تعلمون، فإن كل عنوان بحاجة إلى عدة محاضرات، وكما يقال: الإيجاز في المواضيع الصعبة مغل، ولكن لا يُعصى لصبحي أمر.

محاورة المحاضرة

سأناول في هذه الليلة: مرجعية العقل ودوره في بناء الحضارة الإسلامية والعربية والإنسانية، ثم مأساة غيابه، ثم أنتقل إلى المحور الثاني عن: كيفية فهم التاريخ كعامل في انهيار تلك الحضارة الإنسانية. أما المحور الثالث، فيفترض أنه عن دور المرأة. ولكنه موضوع واسع لا يُختزل في بقية حديث؛ بل يحتاج إلى محاضرة ومحاضرات. فليس قليلًا ما ظلمت به النساء في مختلف الحقول السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، ومنذ أن أصدر الخليفة العباسي المتوكل قرارًا بمنع النساء من الصلاة في المساجد وفي الوقت نفسه من التعليم، لأن المسجد آنذاك كان هو المدرسة الكبرى،

ثم فرض عليهن النقاب، وبهذا العمل انسدل بينهن وبين الحياة سورٌ مانع، مما أدى في النهاية إلى الإسراع - بسبب تجهيل نصف المجتمع - في انهيار تلك الحضارة. ومن المعلوم أن النساء كان لهن دورٌ ملحوظٌ في تاريخ الإسلام أثناء الفترة النبوية والإمارة الراشدة، ولأن الموضوع في غاية الخطورة والأهمية، فلا أظنني قادرًا على إفساح المجال له في هذه المحاضرة، بل أفضل أن أتركه لمحاضرة مستقلة لأهميته، ولشرح ما جرى على النساء من ظلم تاريخي، حيث كان للتقاليد والعادات دور تغلب فيه على الدين والأخلاق والمشاعر الإنسانية، وأسهم في انهيار حضارة.

دور العقل في بناء الحضارة الإسلامية ومأساة غيابه

عليّ أولاً أن أحدد ما أعني بالعقل.. وأنا أعتقد أن العقل أو الفكر أو النظر، متقاربة المعاني، متدانية الأهداف، مع وجود خصائص معينة لكل منها، لكنها تصب في خانة واحدة، كأنها باقة متعددة الألوان ذات خصائص معينة، لكن لكل منها فوحه الخاص، ويجمعها هدف واحد هو بث العطر والعبير.

في البدء كان القرآن الكريم - بالنسبة للحضارة الإسلامية العربية - هو مَنْ أعاد للعقل الحضاري دوره، بعد سبات طويل، وكانت الآيات الأولى التي أنزلت على رسول الله آياتٌ علمية بامتياز ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ﴿أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق]. فالدعوة إلى الذي خلق الإنسان من علقٍ نداءٌ واضح

للتفكير، وإعمالاً للعقل لمعرفة الخالق والمخلوق، وكانت الدعوة إلى القراءة هي إثراء للعقل وتوسعة للتفكير، وبدون القراءة يبقى العقل والفكر محصورين.. وبالحرث تتوسع تجارب، ويحفظ تاريخ، وتتجدد انطلاقات واسعة في آفاق بعيدة، وعصور مختلفة.

وفي القرآن الكريم، مئات الآيات تتعلق بدور العقل، وما يمت إلى العقل بصلة، وبوجوب إعماله في كل شيء، والآيات التي تقول: أفلا تعقلون أفلا تتفكرون، إنما هي دعوة للعقل أن يستيقظ، أن يمارس دوره، أن يحدد فيما حوله، أن يستنبط، أن يقوم برسالته، وكلمة: «انظروا» دعوة لأولي الأبصار أن يسعوا في الآفاق ليروا الآيات الكونية الكبرى، وأن يحددوا: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات]، كلها كلمات إيقاظ، وكلها إحياء. وليس مصادفة أن تكون معجزة النبي عليه الصلاة والسلام هي القرآن الكريم، الداعي إلى الإيمان عن طريق التأمل والتفكير وصولاً إلى الإقناع.

وإنصافاً في القول، وبعيداً عن التعصب، وحسب معلوماتي، فلم أرَ ديناً كَرَّم العقل كما كرمه الإسلام، ولم أرَ أتباعاً أهملوا دور العقل كما أهمله بعض المسلمين، فهذا العقل هو الذي بنى الحضارة الإنسانية وهذا الابتعاد عنه هو الذي هوى بتلك الحضارة الشامخة.

طبق المسلمون الراشدون العقل في فهم نصوص القرآن الكريم، فاعتمدوا على فهم مقاصد النص لا حرفيته، وعملوا بها، وتجلّى ذلك أبلغ تجلٍ في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، كما هو معروف، وكان أولئك الصحابة

- بالرغم من التعتيم الذي حصل - هم الأساس الفكري لدور المعتزلة والزيدية القادم. وكان سبب ذلك أن الأمويين غيروا المنهج العقلي الحر، إلى المنهج الجبري المُقيّد والمُقيّد، وبسيف الحُكم وذهبه عملت الجبرية بشكل فعال في مقاومة دور العقل وتحجيم طاقاته، وتجريد الإنسان من مسؤوليته وإرادته في صنع حياته، وكاد هذا المذهب يطغى لولا ظهور المعتزلة والزيدية اللتان عملتا بنشاط - دفاعاً وحماية - دون انسحاق العقل تحت عَقَب الجبرية، فهبا لنجدته والمحافظة عليه. وباستنبات الجبرية بأشواكها الحادة وبحمية السيف والإرهاب لها نمت شجرة الزقوم، وفي سبيل الدفاع عن دور العقل طرح العقليون مبدأ أن الإنسان مخير يحمل مسؤوليته، وليس مسيراً لا إرادة له، وليس كورقة تحركها الرياح، كما طرحها الجبريون، الذين أرادوا أن تعلق القضايا كلها بالإرادة الإلهية بما فيها المظالم والسلوك الشخصي، هادفة إلى إعطاء المَلَكِيّة المغتصبة شرعية إلهية غيبية لا تُناقش، وفي سبيل ذلك أرجعة سبب أرجعت مقتل الحسين إلى إرادة الله انتصاراً ليزيد، وليس هناك أي أسباب أخرى.

لقد أصبحت الجبرية أساس أي حكم مغتصب، وفي مقاومة هذا الخطر المكتسح سقطت رؤوس العقلين المقاومين بسيف الأمويين، من أمثال معبد الجهنّي (ت 80هـ / 699م)، والجعد بن درهم (ت 105هـ / 724م)، وغيلان الدمشقي (ت 107هـ / 1727م)، وسواهم، وقد ظن الأمويون أن تلك الدماء المطلوبة ستوقف دور الإرادة الحرة نهائياً، ولكن الدم المسفوح أئع

حركة عقلية قوية هي في الواقع امتداد للعقلية الراشدة، ولتلك الحركات الفردية، وقد تمثلت في مدرستين عقليتين ذات ينبوع واحد: هما مدرسة الإمام الثائر زيد بن علي، ومدرسة المفكر الكبير واصل بن عطاء، وواصلتا طريقهما الشاق رغم الصعاب عن طريق علم الكلام، الذي انبثقت عنه الحضارة الإسلامية الإنسانية.

ومن الملاحظ أن ميلاد العقلانية كان في المساجد؛ عندما كانت معاهد، بينما ولدت الجبرية في القصور الملكية، فحاول وليد القصور - في عملية قهرية - أن يحتل المسجد، فتم له على المدى الطويل ذلك؛ لكن بعد أن أنتج المسجد علم الكلام باني الحضارة، وأنجبت الجبرية داخل القصور الباذخة مضاجع السرايا والغلمان، واستمر الصراع بينهما في العهد العباسي، وقطف المنصور خليفة الله بأمر الله - ما يزعم - رؤوس الكثيرين من المعتزلة والزيدية، وغيرهما من الحركات السياسية، وسال الدم غزيراً في ثورتي المدينة بقيادة محمد بن عبد الله النفس الزكية الزيدي، ومعه المعتزلة، كما سال أكثر منهما في ثورة إبراهيم بن عبد الله. وعلى خطأ المنصور العباسي سار ابنه المهدي، فقتل كثيراً من المفكرين تحت عذر الزندقة، وضايق هارون الرشيد المعتزلة وسجنهم.

لكن العقلانيين ما لبثوا أن انبعثوا بقوة في أيام المأمون والمعتصم والواثق، فازدهر الفكر ونما واستطال، على أن الاضطهاد المريع عاد عليهم على يد خليفة سكير هو المتوكل العباسي، الذي أنزل بالمعتزلة ضربة شديدة،

فسجنهم وعذبهم، واختصر المذاهب التسعة والعشرين في أربعة مذاهب، مريدًا بذلك تجفيف الفكر والفقه معًا، ليتحكم فيهما؛ ومع ذلك، فإن المعتزلة والزيدية قد ولدتا مرة أخرى من رحم الاضطهاد.

وقدم العقلانيون أفكارًا متطورة، كالقول بـ«التولد»، التي نادى بها بشر بن المعتمر (ت 210 هـ/ 825 م) وهي إمكانية «أن يفعل الإنسان الألوان والطعوم والروائح والرؤية والسمع وسائر الادراكات، كذلك قال الأمور نفسها عن الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فهي تصوير بالتولد، كذلك ردد قوله: أن الحركة تحصل وليس الجسم في المكان الأول ولا في المكان الثاني، ولكن الجسم يتحرك به من الأول إلى الثاني»¹.

وكالقول بـ«الطفرة والكمون»، التي نادى بها النظام (ت 231 هـ/ 846 م) وأن الله يخلق الدنيا وما فيها في كل حال من غير أن ينفيها ويعيدها، وأن الجسم في كل وقت يُخلق.

وكمسألة شيئية المعدوم، بمعنى «أن المعدوم شيء معلوم ومذكور، وليس بجوهر، ولا عرض» كما طرحها البلخي.

وطرح إخوان الصفاء فكرة التطور الطبيعي، وبلغ تكريم العقل عند الإمام الزيدي القاسم بن إبراهيم (ت 860 هـ/ 860 م) مرحلة متقدمة، فنادى بحاكمية العقل، مؤكدًا على أن الله احتج على العباد بثلاث حجج، هي: العقل،

1 . البغدادي. الفرق بين الفرق، صفحات 141- 145.

والكتاب، والرسول.. والعقل أصل الحجتين الآخرتين، لا نهما عرفا به ولم يعرف بهما¹.

وقريباً من هذا ما قاله المعري (ت 450 هـ/1058 م):

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق، في الكتيبة الخرساء
كذب الظن، لا إمام سوى العقل، مشيراً في صبحه والمساء
فإذا ما أطعته جلب الرحمة عند المسير والإرساء

وكما حورب العقل فقد جرى تحوير المذاهب الفقهية إلى خدمة
السلطان، فعبر عن وضعها التعس الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري أيضاً،
حيث قال:

إنما هذه المذاهب أسباب لجذب الدنيا إلى الرؤساء
غرض القوم متعة، لا يرقون لدمع السماء والخنساء

1 نص كلام الإمام القاسم: «والعبادة تنقسم على ثلاثة أوجه: أولها: معرفة الله. والثاني: معرفة ما يرضيه وما يسخطه. والوجه الثالث: اتباع ما يرضيه، واجتناب ما يسخطه. وهذه الوجوه كلها فهي كمال العبادة، وجميع العبادات غير خارجة منها، فمعرفة الله عبادة كاملة لمن ضاق عليه الوقت. وهي منفصلة من العبادة الثانية، لمن تراخت به الأيام إلى وصول التعب، وهو الأمر والنهي الذي فيه رضى المعبود وسخطه. ثم العمل بما يرضيه واجتناب ما يسخطه عبادة ثالثة منفصلة من الوجهين الأولين، لمن تراخى به الوقت إلى استماع كيفية العبادة على لسان الرسول الذي جاءت الشريعة على يديه. فهذه ثلاث عبادات من ثلاث حجج، احتج بها المعبود على العباد، وهي: العقل، والكتاب، والرسول. فجاءت حجة العقل بمعرفة المعبود، وجاءت حجة الكتاب بمعرفة التعب، وجاء الرسول بمعرفة العبادة. والعقل أصل الحجتين الآخرتين، لا نهما عرفا به ولم يعرف بهما».. أنظر: كتاب أصول العدل والتوحيد، المطبوع ضمن كتاب «رسائل في العدل والتوحيد 124» جمعه د. محمد عمارة.

على الرغم من الانبعاث العقلي بين الحين والآخر، إلا أن طغيان الفقه الجبري سيطر على الساحة، وبلغت ظلماته أشدها يوم أصدر الخليفة العباسي القادر بأمر الله عام 408 هـ/1017م كتاباً ضد المعتزلة يأمرهم فيه بترك الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والمقالات المخالفة للإسلام، وأنذرهم - إن هم خالفوا أمره - بحلول النكال والعقوبة.

ثم تلا هذا الكتاب البيان القادري - نسبة إلى هذا الخليفة العباسي القادر - وما أدراك ما البيان القادري، ثم ما أدراك ما البيان القادري، يوم أصدر في عام 433 هـ/1041م في بغداد كتاباً سمي «الاعتقاد القادري» وقرئ في الدواوين، وكتب الفقهاء خطوطهم فيه، وذكروا أن هذا اعتقاد المسلمين، وأن من خالفه فقد فسق وكفر.

لقد اختزل ذلك الخليفة الإسلام في شخصه، ومن تلك الفترة استبيح القتل الجماعي، ونهج السلاطين نهج «القادر» واستنوا بسنته في قتل المخالفين، فقتل من قتل على يد السلاطين الغزنويين والسلجوقيين، واستمر قتل كل من يدعو إلى رفع الظلم؛ فقتل المقتدر الحلاج، وقتل صلاح الدين الأيوبي الصوفي الاستشراقي السهروردي، عام 586 هـ/1191م، وأمر الخليفة الموحيدي أبو يوسف يعقوب المنصور (ت 583 هـ/1199م) بجمع مؤلفات ابن رشد الفلسفية فأحرقت، إلا ما هُرب منها، وحظر عن الاشتغال بالفلسفة والعلوم، ونفي الفيلسوف الكبير إلى المغرب! وهكذا كانت رؤوس العقلانيين تقطف أو تعذب أو تنفى كلما جاهر أحد منهم بحرية الإرادة!

وبموجب البيان القادري المظلم حصر الاعتقاد بالقوة فيما يعتقده هذا الخليفة الأرعن، وبحصر الإيمان في شخصه بدأ نور العقل يغيب بسرعة، وأقبلت ظلمات الجهل تتدفق بسرعة كبيرة.

على أنه من المضر التعميم، فهناك دولة الخلافة الفاطمية التي قامت على أساس فلسفة إسماعيلية، وليس على أساس فقهي، كما هو الحال في الدول الأخرى، ومن ثم ازدهر الفكر الحضاري ازدهاراً رائعاً، وتساجل القصر والمعهد في الإبداع، وعولجت كثير من القضايا معالجة عقلية، وكانت قصورهم معاهد للتعليم، وليس للسرايا والغلمان، وانعكس هذا الانفتاح العقلي على السلوك السياسي، فكانت المواطنة - كما نسميها اليوم - مطبقة على أفضل ما يمكن، فكان المواطنون من مسلمين ونصارى ويهود يحتلون منصب رئاسة الوزراء في العهد الفاطمي بدون تفريق، وكان القضاء يترأسه الإسماعيلي والمالكي والشافعي. وعندما انطفأت الخلافة الفاطمية شمل الظلام الفقهي كل الأراضي الإسلامية.

وهناك أيضاً سبب آخر في استبقاء الفكر العقلاني زمنًا أطول، يعود فضله إلى أولئك الذين ابتعدوا عن مقارعة الفقه السياسي الجبري، وابتعدوا عن مقاومة الظلم السياسي، وأخلصوا للعلم نفسه كابن الهيثم (ت 354 هـ/ 965 م) وأمثاله، فهؤلاء اهتموا بالعلوم وأخلصوا لها، ولم يتعرضوا للفكر الجبري ولا للمظالم السياسية فتركهم السياسيون وما يعملون، وكان لهم الفضل في استبقاء العقلانية فترة من الزمن.

وفي معادلة غريبة كان لعداوة بعض الدول المستقلة فيما بينها فضل حماية العقل، فكانت كل دولة تنشأ تنافس الأخرى في جذب العلماء إليها، حتى إذا استشعر العالم خطراً من الحاكم بسبب أفكاره، فر منه إلى دولة أخرى ليجد عندها الأمان المؤقت، كما حدث للفيلسوفين ابن سينا والرازي، وتنقلهما بين السامانية والغزنوية والزيارية، وفي خلال بقائهما هنا وهناك كانا يؤلفان بعض كتبهما، ويعلمان تلاميذهما، وينشران فيهم فكراً ومعرفة، حتى إذا أحسا بنذير تضيق تركيا تلك البلاد وارتحلا إلى أخرى، تاركين وراءهما تلاميذهما ومريديها. ومن خلال هذه المطاردة؛ تنقل الفكر الفلسفي بين البلدان وانتشر هنا وهناك، وبقي هذا الفكر يقاوم حتى طمره الفقه الجبري وطواه في النهاية.

المدرسة العقلانية تنهض من جديد

وبقي العقل يقاوم حتى غرق العالم الإسلامي في الظلام، وساد الفقه الجبري وانتهت الشورى والانتخاب والتفكير، إلى أن بدأ يستيقظ من جديد، وتبلورت تهاليله على يد موقظ الشرق جمال الدين الأفغاني، وتلاميذه من أمثال: محمد عبده، والكواكبي، وقاسم أمين، وسليم بك العنجوري، ومحمود سامي البارودي، وعبد السلام المويلحي، وأخيه إبراهيم، وإبراهيم اللقاني، وعلي بك مظهر، والشاعر الزرقاني، وأبي الوفاء القوني، وسليم النقاش، وأديب إسحاق، وعبد الله النديم وتلاميذهم؛ كرشيد رضا، وأئمة الأزهر العظام، من أمثال الشيخ محمد مصطفى المراغي،

ومصطفى عبد الرزاق شلتوت، وأبو زهرة وغيرهما. وانتشرت هذا الفكر انتشار
النور الجديد، إلا أنها اصطدمت كما اصطدم أوائلنا بنفس طبيعة الحكم
تحت تسميات أخرى، وبنشاطٍ مقاومٍ على يد الوهابية، التي تمكنت بما
تملك من مال ودولة غنية من عرقلة خطى العقلية الجديدة. وإلى حد كبير
أعادت الفقه السياسي الأكثر ظلمة إلى سابق عهده.

يتبين لنا مما سبق أن الحضارة قامت على النشاط العلمي، وغربت
بغروبه، كما تبين لنا أن الحضارة لا تقوم ولن تقوم على فقه، وإنما تقوم على
فكر، وأنه في غياب الفكر - كحضارة - ينمو التخلف ويسود الفقه السياسي.
وهكذا كان.

دور التمدّيب السياسي في انهيار الحضارة

يتناول المحور الثاني من هذه المحاضرة كيفية إخضاع وقائع التاريخ
للمتدّيب الفقهي السياسي، ودوره في انهيار الحضارة، وهنا لم أتقيد بما
رسمه «صبيح» الحبيب؛ بل تمردت عليه قليلاً، وابتعدت عما اختاره إلى
قريب منه أو شبه قريب، إلى عنوان آخر، وهو دور بعض المؤرخين في
إخضاع الوقائع التاريخية لخدمة السلطان، ودورهم في انهيار الحضارة. ولنا
أن نفهم أن ثم تشارك بين دور الفقه السياسي الجبري والتمدّيب السياسي
في إخضاع التاريخ.

في البداية كان الكذب على الأحاديث النبوية هو المنطلق في تشويه
وقائع التاريخ السياسي عند الفقهاء المؤرخين، وبينهما صلة مُريّة، ولقاءات

في نقاط متعددة أكثر ريبة.. فلما كثر الكذب على رسول الله تشجع مؤرخو التعصب المذهبي على الكذب على التاريخ، وكلاهما أضراً بالدين والتاريخ. وإزاء هذا التخريب عمد بعض علماء أهل الحديث – للتقليل من بلبلة الاختلاق – إلى وضع علم التجريح والتعديل ليحد من تدفق الأكاذيب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أمكن، وليتم من خلال تطبيق هذا المنهج معرفة الحديث الصحيح من الحديث المريب، من خلال دراسة أحوال الرواة أنفسهم، والتحري من عدالتهم واستقامتهم ما أمكن. وكانت الأحاديث قد شملت السيرة النبوية وفضائل الخلفاء وفضائل المناطق التي سكنها الخلفاء. وكما قام علماء الحديث بهذا الجهد المشكور قام بعض علماء التاريخ بما يقرب من ذلك الصنيع، فوثقوا وقائع التاريخ والمؤرخين من خلال تخصص المؤرخ في معرفة الوقائع في مناطق محددة.

قال ابن النديم في «الفهرست»: «قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاز: قالت العلماء: أبو مخنف (ت 157 هـ/774 م) معرفته بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره. والمدائني (ت 224 هـ/839 م) بأمر خراسان والهند وفارس. والواقدي (ت 207 هـ/823 م) بالحجاز والسيرة. وقد اشتركوا في فتوح الشام»¹.

كانت خطوة معرفة الرجال أو «علم التجريح والتعديل» علمية وعملية

1. ابن النديم، الفهرست، اعتنى بها وعلق عليها إبراهيم رمضان، دار المعرفة، ط 1417/2 هـ، ص 122.

مباركة، نضّبت سيل الأكاذيب إلى حد ما، لكنها - مع الأسف - لم تنجح في تنضيب بعض الروافد التي حملت غثاءها معها، فعكرت المياه النقية، لقد نجحت في لفت النظر إلى كثير من الأحاديث غير الصحيحة - وهذا في حد ذاته إنجاز - إلا أنها عادت فلطخت المياه الصافية بما فرضت على قبول الحديث من مذهبية فاقعة، منعت المنهج من أن يستوفي شروطه. ويمكن حصر الأضرار التي نزلت بهذا المنهج - الذي كان من المفترض أن يحسم الاختلاق بصورة نهائية - في عوامل ثلاثة:

الأول: وقوعه في مخالب التمذهب، حيث نصبت المذاهب نفسها حكماً شرسيين يصدرون أحكاماً تبرئ من كان على مذهبها، وتدين من كان على خلاف معها، بطريقة عدائية واضحة، فالتعصب هو الذي ساد حتى أعشى الأعين، فبلغ بهم العمى المذهبي أنهم مع اعترافهم بصلاح الراوي وتقواه ومصداقيته، وصفاته النبيلة، جعلوا حديثه يستثنى، لأن مذهبه مخالف لهم، وهكذا سرى التمذهب في عروق المنهج فأصابه بالندوب والبثور والتشويه. والذي أنا منه على يقين أن العامل المذهبي أوقف الاستفادة الكاملة من هذا المنهج الذي بدأ واعدًا، ثم ما لبث أن سقط في حبال التمذهب مع الأسف.

الثاني: أن علماء الجرح والتعديل لم يعطوا الدراية حقها في قبول الحديث عقلياً، ولا عرضاً على كتاب الله، مكتفين بالرواية ما دام الراوي من المنتمين إلى توجههم، سواء وافق الحديث (القرآن الكريم) أم لم يوافق،

فتكونت ثغرة واسعة لمروق أحاديث، عارضت الكتاب والسنة الصحيحة، وعارضت المنطق القرآني الكريم، وعارضت المنطق العقلي المستقيم.

الثالث: تدخل السلطة السياسية - بواسطة فقهاءها - لصالح هذا التخريب، وضخت مئات الأحاديث لدعم التسلط، وليس يخالطني شك في أن جانباً مما ينسب إلى أبي هريرة وعبد الله بن عباس كان من هذا القبيل الكائد. وإذا نحن وضعنا وقائع التاريخ داخل هذا الغرbal، وأخضعنا رواته للجرح والتعديل، وارتفعنا به فوق التمدّهب والتسلط، فإننا سنجد - إلى حد كبير - تاريخاً آخر تماماً.

ذلك أن الكذب على رسول الله - صلى الله عليه - قد جعل الكذب على التاريخ سبيلاً سهلاً، ولهذا وجب أن ندخل وقائع التاريخ في نفس المعمل العقلي، لنتم فرز الأصل من الدخيل، وحتى لا نَظَل نَحْبُ في طريق الغواية التاريخية. وليس ثمة ضرر على أي مُجتمع أكبر من أن يُصيغ اتجاهه تضليلٌ ديني، وزيفٌ تاريخي. ومن المؤكد أنه إذا نجح التضليل بالدين، ونجح التزييف بالتاريخ، فقد أمكن التحكم في المسير والمصير.

وكما نزل بالحديث من أضرار لحق بالتاريخ مثله؛ بل أكثر منه، فالكذب على رسول الله كله انصب على أحاديثه - صلى الله عليه وسلم -، لكن الكذب على التاريخ شمل قروناً متطاولة، كان لصالح الطغاة، ومن المسلم به أن الكذب على رسول الله كان أكبر جريمة ارتكبت في التاريخ الإسلامي كله؛ لأنها هي عبّدت الطريق للوصول إلى عروش المآثم. وعلى كل،

فقد أصاب علم الجرح والتعديل شوائب حدّت من نجاحه، وما لبث أن تجمد ولم يتوسع، وأصبح التاريخ مرهوناً بمزاج صاحبه.

أمثلة على مذهب التاريخ

في كتاب «تاريخ الخلفاء» للحافظ السيوطي (ت 911 هـ/1505م)، قال: «ولم أورد أحدًا من الخلفاء العبيديين، لأن إمامتهم غير صحيحة لأمر، منها: أنهم غير قرشيين. ومنها: أن أكثرهم زنادقة خارجون على الإسلام. ومنها: أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة. ومنها: أن الحديث ورد بأن هذا الأمر إذا وصل إلى بني العباس لا يخرج عنهم حتى يسلموه إلى عيسى بن مريم أو المهدي. فلهذه الأمور لم أذكر أحدًا من العبيديين ولا غيرهم من الخوارج، وإنما ذكرت الخليفة المتفق على صحة إمامته، وعقد بيعته»¹.

أخرج من هذا النص يقيّن أنه نص سياسي متمذهب بامتياز، ومع أنه سمى العبيديين بالخلفاء، لكنه لم يدرجهم في كتابه كخلفاء زنادقة، ولكنه فعل مع يزيد والوليد بن يزيد، ثم ينتقد أخطائهم، لأن المنهج يقضي أن يتطابق العنوان مع المحتوى، حتى لا يدخل تحت تسمية «خداع العناوين»، ثم إن التاريخ تاريخ؛ للخلفاء الزنادقة أو الأولياء الصالحين، وبسبب التعصب لم يلتزم بما اشترط على نفسه، فنجدته يترجم ليزيد بن

1. السيوطي، تاريخ الخلفاء، اعتنى به محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، ط5/1421هـ/2000م،

معاوية، ويعتبره من الخلفاء المتفق على صحة إمامته، وعقد بيعته، مع أنه روى هو عنه في كتابه عكس شرطه. وروى عن الذهبي (ت 748 هـ/1348م) أن يزيد كان يشرب الخمر، ويأتي المنكرات¹. ومن الناحية التاريخية، فـ«يزيد» لم يتفق الناس على إمامته ولا على بيعته، وإنما فرض تمليكه بالسيف لفرض الوراثة السلالية وإلغاء الانتخاب، ومن تلك الفترة حل التوريث وولاية العهد محل الانتخاب، وأصبح الالتزام بهما ديناً مفروضاً. ثم أين الاتفاق على بيعته، وقد ثار عليه الحسين بن علي وابن الزبير، وثار عليه مدينة النبي الأعظم بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة. ولم يلتزم السيوطي بشرطه هذا عندما اعتبر الوليد بن يزيد من الخلفاء مع أنه يقول فيه: «كان فاسقاً شريباً للخمر، منتهكاً لحرمان الله»².

وإذا كان أكثر العبيدين زنادقة، فليؤرخ لهم كزنادقة، ويثبت بالدليل تلك الزندقة، ولا يكتفي بتهمة دعائية سياسية. وأما أن خلافتهم لم تصح لعدم صحة قرشيتهم، فهذا الشرط باطل من الأساس؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام صرح - كما روى مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي عن النبي صلى الله عليه وسلم - أن «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةٌ»³. ومن ذلك الانتصار لقريش كعصبة.

1. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 185.

2. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 220.

3. أخرجه مسلم رقم (1850).

وأما أن خلافتهم لم تصح لوجود قائم من بني العباس، فلماذا صحت بيعة أبي العباس السفاح (136 هـ/754م) مع وجود قائم من بني أمية هو الخليفة مروان بن محمد المقتول عام (132 هـ/750م).

ثم ما هذا الكذب على رسول الله وعلى التاريخ أن ملك بني العباس سيظل إلى قيام عيسى بن مريم عليه السلام أو المهدي، وهذا افتئات على الرسول نفسه، فقد سقط العباسي على يد «هولاكو» ثم سقط فرعه في مصر على يد «سليم العثماني»، فأى جريرة ارتكبتها الممتهدون في حق رسول الله.

هذا التناقض يرينا جنائية التمدّيب على التاريخ، ويرينا إلى أي حضيض انحدر إليه المؤرخون الممتهدون والمتسيسون، ولدينا من هذا النوع كتب سياسة كثيرة من كتب الأحاديث المختلقة؛ حرّفت الدين لصالح السلطة، ولدينا كذلك كتب تاريخية زُيفت وقائعها لتكليف مع سيرة ملك ظلم، أو سلطان غشوم، ومع تعتقهما في دنّ التّضليل والتّزييف، فقد تلقاه اللاحق من السابق بالقبول والمرجعية، ومن ثمّ علا قدرهما ورُفع شأنهما، مع أن معظم هذا النوع من السير - إذا تعمقنا فيها ودرسناها - مجرد تبريراتٍ سياسيةٍ لحكم جائر.

وقد اخترت السيوطي مثلاً لجنائية التمدّيب والتسييس على التاريخ من المؤرخين المتأخرين.

ومثال آخر، سأتي به على المتقدمين قليلاً، من كتاب «سير الملوك»

للووزير السلاجقة الشهير والإداري الكبير نظام الملك الطوسي (ت408هـ/1018م) ذلك الوزير، الذي قُدِّر له أن يلعب أدواراً سياسية خدمت السلطة ورسخت الفردية، وعمّقت المذهبية. وتأتي أهمية هذا الوزير من ارتباطه بـ «المدارس النظامية» الشهيرة التي أعطته ألقاً واسعاً وغطت الدعاية له عيوباً جاثمة، ومن ثم جعل للفكرة الاصطفائية الإلهي قيمة كبيرة.

وسأضرب مثالين لفكرته: الأول، يتعلق بفكرة الاصطفاء الإلهي للحاكم. والثاني، عن دور المدارس النظامية في تكريس التمدّج. والحق أن نظام الملك - كما سنرى في كتابه - لم يهتم بنشر المذهب السني لسبب بسيط هو أنه حصر التعليم في هذه المدارس على المذهبين الحنفي - مذهب السلاطين آنذاك - والمذهب الشافعي مذهبه. واقتصر عليهما تاركاً بقية ما يسمى بالمذاهب السنية خارج أسوار مدارسه.

أما عن فكرته الاصطفائية الإلهية لقيام الحاكم، فهو يحددها بقوله: «إن الله يختص بقدرته الربانية أحد عباده بالسعادة والملك، ويمنحه ما هو أهله من ثروة ونعمة، ويهبه عقلاً وعلمًا وحكمة»¹. وضمن هذا الاصطفاء الإلهي نضد الفصول الخمسين من هذا الكتاب، وفيها من الدعوة إلى إفشاء العدل والحق، وعدم الظلم ما يبهر القلب، ولكنه لم يتحدث عما يمنع يد السلطان عن المظالم كما قالت، أو أي تصرف يكبح جماحه، لأن الله قد اصطفاه

1. نظام الملك، سياسة نامة - سير الملوك، ترجمه عن الفارسية، د. يوسف بكار. بيروت: دار المناهل

حقيق الطبعة الأولى 1428هـ/2007، ص49.

واختاره.

وبانجراره مع هذا الاصطفاء أوجب تعظيم الأوامر السامية والمراسيم الصادرة عن البلاط، وأنه يجب الحيلة في إصدار الأوامر السلطانية في السكر والصحو. وله باب في ندماء الملك ومقريبه وتنظيم أمورهم، يشترط فيه أن يأتي المدعوون إلى مجالس الشراب ومعهم غلام واحد؛ إذ «ليس من اللياقة لأن يأتوا بالخمير وسقائهم معهم؛ لأن العادة لم تجر بشيء قط من هذا العمل غير المقبول... فالسلطان هو سيد البلاد والناس كلهم عيال عليه...». وشدد على منع الشراب الرديء في مجلس الشراب، معللاً ذلك بقوله: «لأن كل الأشربة التي يوكل بها من الأصناف الجيدة». وقد حمل هذا الفصل اسم: «في تنظيم مجلس الشراب وشروطه»¹.

ولعل تورطه في القول بـ «الاصطفائية» قد ورطه في تناقضات واضحة، وإلا كيف يستطيع أن يفهم هذا الاصطفاء والسلطان يمارس في مجالس الشراب حسب تنظيم اشترطه من أجل إراحته وإراحة السمار والندماء، ما يحرمه ويعاقب عليه المواطنون، ويبيحه للسيد الكبير.

أما بالنسبة لدوره المذهبي فيظهر في كتابه هذا بوضوح؛ فشرطه على المدرس التدريس في المدارس النظامية مكشوف بلا غطاء. فقد انتهى من تأسيس المدرسة النظامية في شهر ذي القعدة عام 459هـ/1067م واشترط أن

1. نفسه، الفصل التاسع والعشرون ص 157.

يكون المدرسون وكتب التدريس من المذهبيين الحنفي والشافعي فقط، باعتبارهما الناجيين، والباقون في الضلال. وبدلاً من أن يرشد الضالين فيوسع، ابتعد عنهم فضيق. وأظن أن السلطان السلجوقي ملكشاه (ت 447 هـ/ 1055م) لما كان حنفي المذهب، تعاطف نظام الملك - وهو الشافعي المذهب - مع سلطانه، ولو كان سلطانه على غير مذهب الحنفية لأشاد به ونبذ الحنفية، لأنه يعلم علم اليقين ما بين المذهبيين في تلك الفترة من عداة واقتتال، وهو بلباقته وحسن إدارته قد تمكن من إيجاد تعايش مذهبي بينه وبين السلطانيين الحنفيين، بينما اشتعل الحريق بينهما وبين الزعيم الجديد للنزارية، والإسماعيلية وبقية المذاهب.

وليس في الإمكان فصل السياسي والمذهبي عند نظام الملك بأي حال، ذلك أنه قد أولى الجانب المذهبي كل ما في قدرته، كما اهتم بالجانب السياسي بنفس المقدار، وسار بهما معاً في خطين متوازيين. فالنفس المذهبي والتحريض الطائفي واضحان من خلال كتابه.

وتكمن المأساة النظامية في أن هذه الشخصية البارزة، التي كان في إمكانها أن تؤلف بين المسلمين؛ أسقطته مذهبته بين حبال معقدة، وقزمت هامته الكبيرة. ومع الأسف فهو لم يكتف بإخماد الحرائق المعاصرة له، ولم يشكل من علمه عملية إطفاء، بل أضرم تأجيج الخلافات، بحيث أصبح كتابه هذا كتاب سياسي بامتياز، وكتاب مذهبي بامتياز أيضاً، لا يهمه الحقيقة بقدر ما يهمه الإثارة والتشنيع، فهو مثلاً - بحكم تعصبه المذهبي

ضد الديالمة البويهيين الذين كانوا في الوقت نفسه أعداء السلجوقيين، والذي لا يختلف نظامهما في شيء إلا أنه لم يكن يوجد للبويهيين الكبار مجالس شراب، وبالرغم من انهيار دولتهم - كان يحاول أن يثير في السلطان ملكشاه المعتدل نسبياً حزازات الخلافات الأولى «وإن بين الأتراك والديالمة خلافات وإحناً ليست بنت اليوم، بل متمادية في القدم»، ويعتبر السلجوقيين: «مسلمون خلص أطهار لا يعرفون البدع والأهواء، أما الديالمة فهم منشاء البدعة والمذاهب الفاسدة وخصومنا»¹، لأن البويهيين كانوا زيود المذهب، ومع العلم أن البويهيين كانوا قد انقضوا على يد السلاجقة إلا أنه يعتبرهم من أهل العقائد السيئة.

وإلى جانب ذلك كان تعصبه المذهبي للشافعية والحنفية واضحاً للعيان، لا بسبب قناعة بالحنفية، ولكن لأن السلجوقيين أحناف، وهو وزير لدى سلاطين أحناف، فاضطر أن يدخلهم في المسلمين الأطهار، وما عداهما فمذاهب مبتدعة. يقول عنها: «ليس في العالم كله أفضل، وأقوم من مذهبي أبي حنيفة والشافعي رحمة الله عليهما، أما المذاهب الأخرى فبدع وأهواء وشبهات»².

وأول ما يقال في هذا النص أن شيخنا حجّر واسعاً، وضيق رحباً، وحرّم الفكر - بما ضخت المدارس النظامية من فقه سياسي سلبي - من دوره في

1. نظام الملك، سياسة نامه - سير الملوك، ص 198.

2. نفسه، الفصل الحادي والعشرون ص 133.

الحفاظ على الحضارة، ويمكن القول إن مدارس المغلقة سببت ضмор الحضارة التي لا تقوم على فقه كهذا، ومهمة الفقه هو تنظيم علاقة المجتمع ببعضه، وليس فكراً يبحث عما خلف الصور الملموسة، ولأن الفقه قد تدخل في السياسة لصالح الطغاة، واختزال الأمة في فرد فقد عرقل المسيرة الحضارية بكل تأكيد.

وتبعاً لرأيه الحاصر هذا اشترط في الوزير أن يكون «نقي الدين حسن الاعتقاد حنفي المذهب، أو شافعيًا طاهرًا كفوًا»¹. فهو لا يقر من المذاهب إلا الشافعية والحنفية؛ على ما بينهما من عدا، وقد أخذ على السلاجقة المتأخرين أنهم يسمحون «لليهودي والزرادشتي والرافضي بتولي الكتابة للأتراك السلاجقة وإدارة شؤونهم». بعدما كان لا يجرو أي «زرادشتي ومسيحي ورافضي الجراة حتى على إظهار نفسه في عهد محمود ومسعود [الغزنوي] وطغرل وألب أرسلان [السلجوقيان]، فقد كان كل كتبة الترك والقائمين على شؤونهم والمتنفذين من خراسان ومن الحنفية أو الشافعية الأتطهار، ولم يكن الترك يسمحوا المجال أمام كتبة العراق وعمال خراجها من ذوي المذاهب السيئة». ويقول: «إن أغلب أهل الديلم والعراق لمن ذوي المذاهب والعقائد والأديان الخبيثة السيئة». لم يكتف نظام الملك بتحريم وظائف الدولة على غير هذين المذهبين، فقد حرّم على غيرهما التدريس في

1. نفسه، الفصل الحادي والأربعون ص 210.

المدارس النظامية وحصره على المعلمين والتلاميذ من المذهب الشافعي، وأدى هذا «إلى صد أبوابها في وجه المذاهب الأخرى»، وكان «تعليم العلوم العقلية وتعلّمها في المدارس التي أنشئت بخراسان في القرن الخامس وما بعده ثم في العراق وسائر البلاد الإسلامية محظوراً»¹.

وعليه يمكن القول بأن هذه الطريقة قد جففت نفسها ومنعت غيرها من التغذية المفيدة، بما كان لها من صولة وجولة، فكانت مساعدة في انهيار الحضارة.

وإذا ذهبنا إلى استنجاهه بوقائع التاريخ نجده يسقط في مهاوي أخطاء بالغة، إذ ليس الغرض من الاستنجاد بالتاريخ هنا هو التاريخ الصحيح، ولكن الاستنجاد به هو لدعم الاصطفائية والتمذهبية². وكدليل على ذلك استنجد بقول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كلام النساء عورة مثلهن، فكما يجب ألاّ يظهرن على الملأ، يجب ألاّ يذاع حديثهن في الملأ أيضاً»³. ولو كان منصفاً حقاً لوجد أن ما قاله عمر لا يمكن أن يصدر عن عمر، لأن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عين الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس من بني عدي القرشية (ت 20هـ / 640م) على ولاية الحسبة، أي فيما

1. نظام الملك الطوسي، سياسة نامه - سير الملوك، ص 23؛ وانظر، ص 133؛ وص 210؛ وص 195؛ وص 23

2. سياسة نامه - سير الملوك، ص 59، ح 10؛ وص 211 ح 44؛ ص 229، ح 1، ص 229، ح 1؛ ص 247، ح 1، سير الملوك، ص 250، ح 15؛ ص 250، ح 15، ص 261، ح 50؛ ص 262، ح 51.

3. نظام الملك الطوسي، سياسة نامه - سير الملوك، ص 224

يعرف اليوم بـ «وزارة التجارات والأسواق وأوزانها ومعاملاتها، تراقب وتحاسب وتفصل بين التجار وأهل السوق من الرجال والنساء». فالذي عيّن الشفاء لتمشي في الأسواق، وتراقب وتحاسب، لم يقل بأنها عورة، فهذه الرواية كما يقول رجال الحديث رواية مدلّسة، ولكن المعضلة أن الكثرة قد آمنت بها حتى أصبحت سلوكاً عند العلماء والعامة على السواء، من هنا وجب وضع وقائع التاريخ في غربال قوي ونشيط وفعال حتى يتساقط الغث، وحتى يسلم الناس من تأثيره على سلوكهم المحبط.

الخلاصة أن السياسة، ومدارسها المنتشرة قد أسهمت في تحريم العلوم العقلية في المدارس التي أنشئت بخراسان في القرن الخامس وما بعده، ثم في العراق على أيدي المملكات الكبيرة السامانية والخوارزمية والغزنوية والسلجوقية والمملوكية والعثمانية، فكان سقوط الحضارة حتمياً.

وأخيراً أعتذر عن تأجيل الحديث عن دور النساء رغم الاضطهاد التاريخي - فقد كان للكثير منهن دور متميز في الحياة العلمية والأدبية والحكم والسياسة، ولكن السبب هو ضيق الوقت، وليس لأنني ما زلت أحمل بذور سطوة الرجال فقدمتهم عليها، وإنما لأنني أريد ألا أتكلم عنهن كملحق، وإنما أريد أن يكون حديثاً مستقلاً يليق بهن لأنهن كما عبر رسول الله: شقائق الرجال.

فمتى تشع إنسانية الإنسان، على الإنسان؟

مداخلة

الدكتور أبو الليث الرفاعي

لا شك أن العقل أساس في اتخاذ الإنسان لأي قرار في حياته، فهو هبة الله لخلقه، وقد أكد عليه سبحانه في أكثر من آية في القرآن الكريم، ولا سيما تكرار أفلا تعقلون؟ ألا تفكرون؟ تلك إichاءات الله لعباده في استخدام العقل والتفكير، ولكن أيضًا من يتجاوز حدود الله فأولئك هم الظالمون.

فلم يقل أحد: إذا خالف القرآن العقل فيؤخذ بالعقل. فهذا كلام لا يقبله العقل نفسه. إنما إذا خالف حديثٌ مرويٌّ عن الرسول نص القرآن فيضرب به عرض الحائط، (حديث للرسول) أو تفسيرٌ للقرآن يخالف تفسير العقل للقرآن فيؤخذ بتفسير العقل لعقل مُعتدِّ بعلمه. فليس كلامًا مطلقًا لمجرد أنه صادر عن عقل إنسان، فالناس كلهم يملكون عقولًا لكنها لا تستوي، فالعقل يلتزم الرشد (أليس فيكم من عاقل رشيد). فالعقل الرشيد يؤكد عليه الله ثم الإسلام في اتخاذ القرار وفهم ما ينفع الناس، والعلم هو نتاج العقل والتفكير.

نعم العقل أساس التفكير لكن العقل محدد وغير مطلق العلم والتنبؤ، فالله قدر كل شيء بقدرٍ وليس مطلقًا، فرغم أننا اكتشفنا الكثير من أسرار الطبيعة

لكن ذلك لا يتجاوز 5%، لأن العقل والحواس محدودة وليست مطلقة، بصرنا محدود وحواسنا الأخرى محدودة وكذلك ما علمنا الله إلا قليلاً، تلك مسلمات علمية وفكرية، هذا مجرد تعليق على مسألة «العقل يُعتمد إذا خالفه القرآن» تلك فرية أو وهم.

أما سلوك بعض الخلفاء ووعاظ السلاطين من رجال الدين فهذا تاريخياً وحاضراً مفهوم، مع ملاحظة ضرورة الحذر من تاريخ ساهم فيه مؤرخون من حركات شعبية مناهضة للأمة العربية الإسلامية، ولا سيما في أواخر الدولة العباسية، وهم معروفون وفي مقدمتهم فرس من بقايا البرامكة والعلازمة، فليس كل ما نقرأه من تاريخ يلامس الحقيقة والواقع آنذاك، فأيضاً علينا أن نستخدم العقل قبل أن نلقي محاضرات قد تسيء لتاريخ الأمة وقادتها المحترمين، فمن يقرأ تاريخاً يشوه صورة أبو بكر وابن الخطاب وهم في أوج قمة الإيمان بالإسلام من قبل رجال دين فرس كبار، وكتاب فرس كبار ألا يستغرب ذلك، ويفهم مقاصده. فكيف بعد قرنين أو أربعة قرون، وكما قلت لا دفاعاً عن أخطاء أحد من الخلفاء لكن تبياناً لواقع وحقيقة كيف كتب التاريخ وكيف يتلاعب بالألفاظ، حين يتحدث عن العقل والقرآن، وباستخدام حجة العقل يُساء للإسلام ويتناسون أن الإسلام دين علم وفكر وتفكر، ولكن لا خلطاً بين ما هو قويم وما هو أعوج المنطق والتفكير.

تحياتي للجميع.

أ.د. علي عطية عبد الله الرفاعي (أبوليث). أستاذ متمرس/جامعة بغداد.

تعقيب

الأستاذ زيد الوزير على الرفاعي

استنكر الدكتور الرفاعي مقولة: «إذا خالف القرآن العقل فيؤخذ بالعقل» ولم يكمل الكلام؛ لأن في بقيته الجواب على استنكاره. ثم قال: «فهذا كلام لا يقبله العقل نفسه». ومضى فقال: «إذا خالف حديثٌ مروى عن الرسول نص القرآن فيضرب به عرض الحائط.. أو تفسيرٌ للقرآن يخالف تفسير العقل للقرآن فيؤخذ بتفسير العقل لعقل مُعتدُّ بعلمه».

فلو أن الدكتور المحترم تأمل بقية الكلام الذي أورده عن الإمام القاسم بن إبراهيم لما وجد نفسه يستنكر ما قال ذلك الإمام العربي الجليل، ولوجد نفسه يسير معه يداً بيد، ولكنه مع الأسف استغنى بما يتفق مع مفاهيمه المسبقة، وهي حالات تقع لكثير من الذين يملكون علماً لا يريدون نقضه. ولكي تتضح الصورة فإن نص الكلام، يفيد بأن الله يُعرف بالعقل. وما يرضيه وما يسخطه يعرف بالقرآن. وكيفية اتباع ما يرضيه وتجنب ما يسخطه يعرف بما جاء به النبي. ومن ثم فـ «العقل أصل الحجتين الآخرتين، لا نهما عرفا به ولم يعرف بهما».

ومعلوم أن الفهم هو التفسير بكلمات أخرى، ودكتورنا قد رفض أي تفسير لا يقبله العقل، وذلك مقتضى ما قاله الإمام القاسم الذي يؤكد أن بالعقل يفهم القرآن.

ومن قبل القاسم فهم عقل ابن الخطاب النصوص القرآنية لا بنقل مروي، بل بعقل واعٍ، فرفض إعطاء المؤلف قلوبهم من الزكاة المنصوص عليها في القرآن؛ لأن عقله الواسع الكبير عرفه أن النص مقيد بسبب وبعلة وبمقصد، وأن إيقاف ما نص عليه القرآن، لم يعد صالحًا لزمه، بعد أن اشتد ساعد الإسلام وضعف قوائم المؤلف قلوبهم، فهذا فهم عقلي لنص قرآني تعارض فيه ظاهريًا النص مع التطبيق.

ولمزيد من العلم فهناك علماء كبار قدماء ومعاصرون قبسوا من ذلك الرأي أو اتفقوا معه وأيدوا دور العقل في فهم مقاصد النصوص عقليًا، ولن أذكر الزمخشري، ولا أحداً من رجال المعتزلة والزيدية الأقدمين، ولن أحصي من ذهب هذا المذهب عدداً، بل سأذكر أقوال من ليسوا منهم، وأستشهد بأمثلة من أقوالهم، وسأكتفي بمشاهير مؤمنين، ومنهم الفيلسوف المؤمن ابن رشد الذي قال: «إذا كان العقل هو الذي دلنا على معرفة الله عز وجل، وعلى أن محمداً رسول الله حقاً فأني معارضة تفرض بين العقل وبين ما جاء به الكتاب والسنة».

وقد لا يكون هذا النص دليلاً على ما ذهب إليه القاسم، ولكنه تأييداً لقوة العقل في الاستنباط. وقال أيضاً: «العقل نور جعله الله في قلبك ليكشف

لك عن الأشياء الموجودة والحقائق الواقعة ولتفهم به عن الله ورسوله، هذه وظيفة العقل، فلو أردت منه أن يريك كل ما تحبه وتتخيله من المعدومات فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، اللهم إلا إذا كان على سبيل الوهم والخيال، وسبق أن قلنا إن الوهم والخيال لا يصلحان للمعرفة الصحيحة والعقيدة السليمة، والله هو الهادي إلى سواء السبيل»¹.

فإذا كان العقل هو النور الذي قادنا إلى معرفة الله، فهو نفس النور الذي يقودنا إلى فهم قرآنه وإن خالف ظاهر نصه.

وفي العصر الحديث كان الإمام محمد عبده ممن يمجّد دور العقل في فهم الإسلام والقرآن، فقال: «رفع القرآن من شأن العقل، ووضعه في مكانة بحيث ينتهي إليه أمر السعادة، والتميز بين الحق والباطل والضار والنافع»². وعند الإمام محمد عبده أن الإسلام يعتمد على الدليل العقلي، لا على المعجزات «فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته، لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي»³.

وإذا كنا لن نعرف وحدانية الله إلا بالدليل العقلي، فلذلك لن نفهم مقصد النص إلا بالعقل، فلماذا الجزع من تلك المقولة فالقرآن والعقل معاً من خلق الله يشد بعضهما بعضاً، وبينهما رباط لا ينفصم، ولو كان

¹ عبد الكريم ويدان، كتاب القضاء والقدر.

² محمد عبده، رسالة التوحيد، ص 19.

³ محمد عبده، رسالة الإسلام والنصرانية صص 54-55.

الاستدلال بغير خلق العقل الذي هو خلق الله ومعجزته الأبدية لكان للاختلاف مجال. وأخيرًا يقول الإمام محمد عبده: «اتفق أهل الملة الإسلامية - إلا قليل ممن لا يُنظر إليه - على أنه إذا تعارض العقل والنقل أُخذ بما دل عليه العقل»¹.

صحيح أن الإمام لم يذكر هنا القرآن مع العقل، إلا أنه ذكر ما يقرب من ذلك، ويدخل فيه ضمناً، أو في مستواه، وهو أن النقل - بما فيه صحيح السنة - يخضع لفهم العقل، وفهم السنة الصحيحة في مستوى فهم القرآن الكريم تقريباً.

وشيء آخر عقب عليه الدكتور المحترم ويستحق النقاش حوله وهو قوله: «إن الدولة الفاطمية تعتمد مسلكاً فقهياً كغيرها ففيه ما يتفق مع العقل، وما هو يسخف العقل عند الإنسان، فكثير من منطلقاتهم الفقهية الاجتهادية على أساس العقل تخالف منطق العقل، كما هو حال بقية الفقهيات المذهبية أو الاجتهادات المعتزلية».

فأقول ما ذهب إليه صحيح في الفقهيات، أما في العقليات فغير دقيق ما ذهب إليه، فقد كان تشجيعهم للعلوم العقلية والفلسفية - كتشجيع المأمون ومن تبعهم بإحسان من العباسيين - بيد أن الفرق بينهما أن العباسيين لم يكن لهم منهج موحد كما كان للفاطميين.

¹ محمد عبده، رسالة الإسلام والنصرانية ص 59.

وأما قوله بأن قدرة العقل محدودة، فصحيح أيضاً، لكن قدرته أيضاً أقوى قدرة خلقها الله إدراكاً ويقظةً واستبصاراً، كما أن تلك المحدودية لا تلغي فهم العقل للنصوص والآيات الكونية، وإذا قلنا بغير ذلك فتصبح الآيات الكريمة حروفاً بدون معنى. والقرآن الكريم لم يخاطب أحداً كما خاطب العقل في التفكير، والتأمل، والفهم الرشيد، والراشد. ولولا العقل لما اكتشفنا الكثير من أسرار الطبيعة، ومن المؤكد أن العقل سوف يوالي مسيرته الإبداعية في ظل الآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

أما ملاحظاته بحزرة الحذر من تاريخ ساهم فيه مؤرخون من حركات شعبية مناهضة للأمة العربية الإسلامية، ولا سيما في أواخر الدولة العباسية، وهم معروفون وفي مقدمتهم فرس من بقايا البرامكة والعلازمة.. الخ. فهذا ليس قول مؤرخ بريء من التمهيد، صحيح أن الحذر يجب أن يكون حاضراً، ولكن ليس على أساس مذهبي ولا عنصري، ولكن على أساس تاريخي، وأذكره - وهو الدكتور المتمرس - أن كتب ما يسمى بـ«أهل السنة» تحمل من الغث ما تحمله كتب ما يسمى بـ«أهل الشيعة» من أخطاء، فحصر الغثاء بالفرس وبقايا البرامكة والعلازمة - إن كان هؤلاء قد كتبوا تاريخاً - خطأ فادح، وقد أوضحت في المحاضرة من أقوال الحافظ السيوطي المصري، ونظام الملك الفارسي كثيراً من الغثاء، نتيجة التمهيد المريب، ثم ها هو كتاب الإمام العظيم الطبري رضي الله عنه به غثاء كثير، ولا يخلو

أي كتاب من غشاء سوى القرآن الكريم.

وكان على حق عندما قال ليس- «كل ما نقرأه من تاريخ يلامس الحقيقة والواقع آنذاك». ولكنه كان متجنباً عندما قال: «علينا أن نستخدم العقل قبل أن نلقي محاضرات قد تسيء لتاريخ الأمة وقادتها المحترمين».

فمتى أسأت إلى الأمة؟ ومتى أسأت إلى قادتها المحترمين؟ ومع ذلك فنقد القادة ليس فيه إساءة فليسوا بمعصومين من الخطأ ولم يوجد خليفة راشد لم يخطئ، وقد نقد عمر بن الخطاب طريقة بيعة أبي بكر والمعروف أن الذي تولها هو أبو بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم. فأؤكد له أنني حكمت عقلي قبل أداء محاضرتي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولم يكن للتمذهب عندي مكان، أما من يكتب تاريخاً يريد به أن يشوه صورة أبي بكر وابن الخطاب - وهم في أوج قمة الإيمان بالإسلام - فهذا ليس مؤرخاً، بل متمذهباً، من قبل رجال دين عرب ورجال دين فرس، بل أنني أذهب أن النية المسبقة لكتابة التاريخ مدحاً أو قدحاً هي كتابة هوى غالب، لا كتابة فحص متأن، فالذي يكتب التاريخ بدون نية مسبقة وما دون هذا القصد فسقوط في حبال التمذهب، أو العنصرية، أو التسييس. ولو حكمنا عقولنا - كما يطالبنا به دكتورنا الكريم- لوجدنا أن الطبري هو أبو التاريخ الإسلامي، وهو مؤرخ فارسي كبير، ولم يسيء إلى الإسلام، ولا رجال الإسلام، وكثير ممن خدم القرآن وخدم الإسلام وخدم الحضارة هم فرس وسرياليون، وكان على دكتورنا حين تحدث بعنصرية عالية النبوة أن يركن إلى

العقل ليريه أن العنصرية تملأ تاريخ المسلمين من أمة الضاد وغيرها من الأمم. وأرجو ألا يذهب فكر دكتورنا بأني فارسي أو رومي، أو مذهبي، أدافع عن هذا أو ذاك فأنا بحسب التقسيمات الجغرافية عربي ومن ذرية نبي الإسلام، وكما أمرني قرآني ونبيي، فأنا أنبذ العصبية تلبية لقوله عليه السلام «دعوها فإنها منتنة». وأنبذ العرقية وأكره التسييس، وأنظر إلى الإنسان من حيث هو إنسان، لا من حيث مذهبه، ولا عقيدته، ولا عرقته.

والعرقية -كما يعرف دكتورنا- خرافة مندرجة. علينا إذن، وبروح مؤرخ نقى أن نمسح من التاريخ أي خرافة دينية، تاريخية، عنصرية، تسييسية؛ مالم فلن يكون للعقل الهادي دور، وسيكون للغرائز المتوحشة أدوار.

ومع التحية لدكتورنا في بغداد

رد الرفاعي على تعقيب الوزير

الأخ الاستاذ المحترم زيد الوزير حفظك الله ورعاك، السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته، وبعد.

أشكر كثيرًا على اهتمامك بموضوع يُعدُّ من مواضيع الأمة سابقًا ولاحقًا
ومستقبلًا، وهو كيف نفهم حقيقة أمتنا عربية إسلامية، وكيف نتوقف عند
مراحل بنائها وتطورها، وما هو دور ومواقف قادتها الأوائل وندرسها عقليًا
وفكريًا وعلميًا، ومدى توافق عملهم وفعلهم مع العقل من خلال فهم القرآن،
بغض النظر عما قاله فقيه أو مؤرخ في أي مرحلة من مراحل تطور الأمة نهوضًا
ثم هبوطًا، ودور تلك المذهبية في تشتت الأمة وتشويه أحكام القرآن،
والافتراء على أحاديث الرسول وعلى سلوك الخلفاء، من منطلق البغض
والكراهية أحيانًا.

فأنا رجل علم، لست مؤرخًا، ولكني قرأت التاريخ وفهمت أدوار الحركات
الشعبية في الإساءة للأمة، ليس من منطلق مذهبي، لأنني أساسًا لا أنتمي
لأي مذهب، ولا أفهم الإسلام إلا من خلال فهمي للقرآن الكريم: لغة
بيانها ونحوها وفصاحتها وبلاغتها، وزمانًا ومكانًا وسببًا لنزول آياته الكريمة.
وأعلم أن تفسيرات الأولين ونقلهم لأحداث التاريخ لها دور كبير في تلويث
حقيقة تاريخ الأمة العربية الإسلامية، من منطلقات مذهبية وشعبوية عنصرية.

وأعلم أن الفرس أكثر الحركات الشعوية حقداً على الإسلام قبل العرب. ولست من المعجبين بالطبري وأبي حنيفة، لا لفارسيتهما، بل لآرائهما؛ فأنا مذهبي وفقهني كتاب الله، أفهمه لأنني أفهم لغتي العربية، وأفهمه من خلال منطلقات بعض آياته العلمية التي تحاكي ما توصلنا إليه من حقائق علمية.

نعم، العقل أساس فهمنا لديننا، لكنه ليس بديلاً لحقيقة ما تدل عليه الآيات الكريمة، وقد لا يدركها العقل أحياناً لمحدوديته، وهو يوماً كان يعبد الأصنام، من منطلق تأويل يحاكي رغبات وغايات المأمول. وليس هناك مذهب أو فرع لمذهب أو فرقة من الفرق ما وقعت ولا زالت تقع في خطأ التأويل، بل والافتراء لغايات سياسية أو عنصرية. فترائنا، الذي ساهم فيه هؤلاء، بحاجة إلى تنقيح وإعادة كتابة بطريقٍ يجمع بين العقل في فهم التفسير والقرآن، ويعتمد العلم ومنطق العلم، بعيداً عن أهواء غائية.

فالحركات والفرق المذهبية تجاوزت على حقيقة القرآن الكريم وعلى تاريخ الأمة، بل مزّقت الأمة. فليس من المنطق العلمي أن نبقي أسرى لما قاله هؤلاء من شتات أفكار، ومن تأويلات غائية مبنية على أسس من الحقد والكراهية، نراها اليوم تعصف في أهم أقطار الأمة، وهي العراق وسورية واليمن وليبيا، والقادم أسوأ. المطلوب اليوم منا جميعاً، كمتقفين من أبناء هذه الأمة، أن نعي حقيقة ما يجري، وعلاقته بتلك البؤر المذهبية المتخلفة منها، والمفترية على تاريخ الأمة، وعلى آل بيت كرامها.

وأنا أحذر من مفترياتٍ تضمنها التاريخ، ليس محذراً من الأخ الوزير الذي

ظهر أنه من آل البيت كما نحن، ولا فخر على أحد، فخير الناس من نفع
الناس، وأكرمهم أتقاهم عند الله. فهناك سُراق، لصوص، فاسدون، يدعون
اليوم أنهم من آل البيت.

جواب الوزير على الرفاعي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..

أشكر كثيرًا على اهتمامك بموضوع هو كما وصفته في افتتاحية رسالتك. وأشكر على قولك عن نفسك: «لست مؤرخًا، ولكنني قرأت التاريخ، وفهمت أدوار الحركات الشعبية في الإساءة للأمة، ليس من منطلق مذهبي، لأنني أساسًا لا أنتمي لأي مذهب، ولا أفهم الإسلام إلا من خلال فهمي للقرآن الكريم: لغةً، وبيانًا، ونحوًا، وفصاحةً، وبلاغةً». فهذا قول رجلٍ شجاع عرف قدر نفسه، وقول عالم لا يدّعي علمًا لم يتضلع فيه. فدعني أولًا أشكر على هذه الشجاعة العقلية، فأنت ممن قال فيهم أمير المؤمنين الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «مَن قال لا أدري فقد أحرز نصف العلم»؛ وهي خصلة نادرة هذه الأيام.

بيد أنني كنتُ أودّ منك، وأنت الدكتور المحترم، أن توضح ما تقصده بتسميتك “الحركات الشعبية”: أتعني بها المعارضة الثائرة التي قادها الزيدية والمعتزلة والهارث بن سريج وغيرهم؟ أم تقصد الحركات الفكرية التي نهض بها أمثال معبد الجهنني (ت 80هـ / 699م)، والجعد بن درهم (ت 105هـ / 724م)، وغيلان الدمشقي (ت 107هـ / 1727م)، وسواهم؟ حتى نلتقي على كلمة سواء.

لا أراك تختلف معي، ولا أختلف معك حول الهدف الرشيد، وإنما نحن مختلفان في الوسائل المؤدية إلى ذاك الهدف؛ وهو اختلاف يمكن - من خلال الحوار الهادف والموضوعي - أن تتقارب فيه المواقف، وتقترب فيه الديار. وبطبيعة الحال، فلن أتجاوز معك حول ما نحن متفقان عليه، بل حول ما نختلف فيه؛ بل سأكون معك فيما نتفق عليه مؤيداً لما ذهبت إليه، فالغرض والقصد هو الوصول إلى الهدف، لا الجدل حوله.

وهنا أنهه بأن كثيرين قرأوا التاريخ وفهموا أدوار الحركات التاريخية والحركات الشعبية معاً، سواء تلك التي حاولت الإساءة أو تلك التي سعت إلى التصويب والإصلاح. وقد توصلوا إلى قناعات متباينة: فالبعض فهمها فهماً تاريخياً وعقلياً قادهم إلى رؤية فاحصة، وآخرون فهموها فهماً فقهيّاً سياسياً قادهم إلى رؤية أخرى.

ولأن الفقه السياسي متعدد التصور، يختلف الرؤية، ويتبع انتماء المؤرخ إلى هذا المذهب أو ذاك، أو إلى هذه الدولة أو تلك، فقد تشكّلت رؤية متباينة. أما الفهم العقلي للتاريخ، فلا يقوم غالباً على هوّى أو ميل، ولذلك لم يكن محل اختلاف واسع. ومن ثم، فليس من الإنصاف، ولا من المنهج العلمي، حصر المعرفة في رؤية واحدة، بل المنهج الحق هو ما أوضحه الإمام الشافعي - رضي الله عنه وأرضاه - بقوله: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب».

ولا أختلف معك في أن «تفسيرات الأولين ونقلهم لأحداث التاريخ لها

دور كبير في تلوّث حقيقة تاريخ الأمة العربية الإسلامية، من منطلقات
مذهبية وشعوبية وعنصرية». ومن هنا - عزيزي - وجب تنقية تلك الشوائب
بروح خالية من أي تصوّر مسبق، أو حكم يُتّ بليل، أو قضاءً أنجز بكيد.
وقبل أن نُحمّل الفُرس - وهي أمة عظيمة فيها البر والفاجر، كما هو الحال
في الأمة العربية وسواها - مسؤولية الحركات الشعوبية والحقّد على الإسلام،
ينبغي أن نبحت في حقيقة هذه الشعوبية: هل صدرت عن أفراد؟ أم عن أمةٍ
بأسرها؟ هل كانت ردّاً فعل للعصية التي أحيّاها الأمويون بعد أن دفنها رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

إن كانت ردّاً فعلٍ على ما أصاب الموالى من قهرٍ وظلمٍ، فذلك له حكمه،
وإن كانت فعلاً مقصوداً دون سبب، فذلك له حكم آخر. وبعد الدراسة
النزيهة، يمكن تحميل أحد الطرفين أوزار ذلك، أما تحميل أمةٍ كاملة، فليس
من العدل في شيء.

أما قولك إنك لست «من المعجبين بالطبري وبأبي حنيفة، لا
لفارسيتهما، بل لآرائهما»، فلك الحقّ في ذلك. ولكن هذا لا يُنفي أن
مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة هو أوسع المذاهب انتشاراً في العالم
الإسلامي، أي أن أكثرية المسلمين معجبون به وبآرائه. ومثله الإمام الطبري
- رضي الله عنه -، ومع ذلك، يبقى لك الحق في أن ترى فيهما ما ترى،
فالاختلاف في الرأي لا يفسد للودّ قضية.

أما قولك إنك تفهم القرآن الكريم لأنك تفهم اللغة العربية، وأنك ألّفت

كتاباً بعنوان: «العلم في رحاب القرآن»، فذلك فضلٌ من الله أذاك، ومنحك القدرة على الغوص فيه والاستنباط منه. أما أن يُفهم من كلامك أن العرب وحدهم هم من يفهمون العربية حقّ فهمها، فقد ضيّقت واسعاً؛ لأن الإمام الطبري الفارسي كان يفهمها فهمًا عميقًا، وقد اتفق المؤلف والمخالف على أن الإمام الزمخشري كان إمام البلاغة العربية، وأنه هو والإمام الرازي من أعظم مفسري كتاب الله، إن لم يكونا أعظمهم.

وقل مثل ذلك في سيبويه وغيره من الذين خدموا اللغة العربية خدمة عظيمة، وهم غير عرب. أما إن كنت - سيدي الكريم - وغيرك لا تعجبكم آراؤهم، فهذا من حقكم، لكنه لا يعني أنهم لا يفهمون العربية. بل إن موسوعاتهم اللغوية لا تزال مرجعًا لك، ولي، ولكل عربي.

وقد شارك علماء أهل الكتاب والصابئة في بناء صرح الحضارة الإسلامية، لأنهم فهموا اللسان العربي وطبقوا ما فهموا.

سبق أن قلتُ في محاضرتي: إن القرآن هو الذي أيقظ العقل من سباته، وعندما كان غائبًا عبد العرب الأصنام. فلا حجة لوجود العقل أثناء تلك العبادة، لأنه كان غائبًا، كما تنطق بذلك آيات الذكر الحكيم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170]. وحالتنا اليوم تتشابه مع تلك؛ فالعقل غائب الآن في إجازة مرضية. فهل بقيت الأمة العربية رائدة ثقافة كما كانت؟ أم أنها عادت تابعةً تعبد أصنامًا جديدة: الدولار، والريال،

والمذهب، وتضرب بالإسلام وبالعروبة جفاءً، وتسترضي العدو الماكر لئبتلعها كما التهم ملوك الطوائف من قبل؟ فأين العقل الآن؟

أتفق معك أن «ليس هناك مذهب، أو فرع لمذهب، أو فرقة من الفرق، إلا ووقعت، ولا تزال تقع، في خطأ التأويل، بل والافتراء لغايات سياسية أو عنصرية. فتراثنا الذي ساهم فيه هؤلاء بحاجة إلى تنقيح وإعادة كتابة بمنهج يجمع بين العقل في فهم التفسير، والقرآن، ويعتمد على العلم ومنطق العلم، بعيداً عن الأهواء والغايات». وأتفق معك أيضاً في أن ما نراه اليوم من أحداث «تعصف بأهم أقطار الأمة، وهي العراق وسوريا واليمن وليبيا، والقادم أسوأ»، وأن «المطلوب منا جميعاً كمثقفين من أبناء هذه الأمة أن نعي حقيقة ما يجري، وعلاقته بتلك البؤر المذهبية المتخلفة والمفترية على تاريخ الأمة».

ولا أختلف معك في وجوب التحذير «من مفتريات تضمّنها التاريخ، لا من الأخ الوزير الذي تبين أنه من آل البيت كما نحن.. فحتى في أهل البيت من هم سراق، لصوص، فاسدون». لكن القضية ليست هنا، بل هناك، في فهم التاريخ. وأنا، ولا شك، أعترز بانتمائي للدوحة الشريفة، وأرجو أن أكون ممن اتبع منهجها، أما من لم يتبع منهجها فليس من أهل البيت قط. وقد يوجد من العرب وغير العرب من هو أتقى وأفضل وأنفع للناس، وهو غير منتمٍ لأهل البيت، ففضل الله واسعاً على الجميع.

جدلية اسلامية العروبة وعروبة الاسلام

رأي د. أبو الليث الرفاعي

أعيد الحديث من منطلق مصلحة الأمة العربية، بعيداً عن أيّة مذهبية. وأقرّ بأنّ الأعاجم من أيّة ملّة قد أساءوا للأمة تاريخياً، وهم اليوم يُسيئون إليها.

وأذكرّ بقول الرسول ﷺ للصحابيّ الجليل سلمان الفارسي، يوم سمعه يتأفف من العرب، فقال له: «يا سلمان، مَنْ كره العرب فقد كرهني، ومن كرهني فليتبوأ مقعده من النار». وقال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «العرب مادة الإسلام». وقال الله عز وجل في أحد عشر موضعاً من كتابه الكريم إنه ﴿قرآن عربي مبين﴾، ووصفه بالحكمة العربية، وغير ذلك.

فالعربية وعاء الإسلام: فكراً، وحكمة، وفصاحة، وبياناً. وقد بدأت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة عربيةً بفكرٍ إسلاميّ، في وعاءٍ عربيّ مبين، ثم أصبحت عربيةً إسلامية. فالأمة العربية كانت، ولا تزال، مادة الإسلام.

أما العلماء والفلاسفة في تاريخ الأمة، كابن رشد، وابن سينا، والرازي، وإخوان الصفاء، وأبناء الجزري، وابن الهيثم، والبتّاني، وابن البيطار، وجابر بن حيان، وابن ميمون اليهودي، وحنين النصراني، والخوارزمي، والطوسي، الفلكي، وغيرهم، فهم عرب الفكر والثقافة، بما نهلوه من معين الإسلام،

ومن كتابه الكريم الذي يُعلي من شأن العلم والتفكير والتدبر. وهؤلاء العلماء دليلٌ على اهتمام الإسلام بالعلم، لا العكس. لكن يبقى كل فكرٍ يُسفه الإسلام، بحجة العقل والحدثة، دون فهمٍ حقيقيٍّ لهما، فمفروضٌ ماضٍ وحاضرًا.

فالقرآن تحدّث في غير آية عن خلق الكون، سماءً وأرضًا، وعن بدايته ونهايته وعودته من جديد، وذلك قبل أكثر من 1400 سنة. واليوم، يثبت العلم الحديث كثيرًا من تلك الحقائق، ما يدلّ على أن هذا كلام الله. وبالتالي، فالعقلُ مخلوقٌ من خلق الله، علّمه الله، ووهبه قدراتٍ بمحدوديةٍ مقصودة. وحين يتجاوز الإنسان حدود ما حدّد لعقله، فإنه قد يقع في الوهم. وتراثنا التاريخي والفقهّي بحاجة إلى إعادة نظر، بيد علماء لغة وفقه وتاريخ وعلوم معاصرة، حتى لا نضلّ أسرى لتفسيراتٍ ووجهات نظرٍ أنتجت في سياقاتٍ سياسية أو مذهبية قبل قرون، ولعب فيها المغرضون ووعاظ السلاطين دورًا كبيرًا، وأوصلونا إلى حالةٍ تناقضيةٍ حول أمورٍ خلت، لا ناقة لنا فيها ولا جمل. وقد قال الله عزّ وجل: ﴿تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134]. فهل هناك أصدق من قول الله؟

وختامًا، تحياتي لمن قرأ تعقيبي السابق، وتعقيب الأخ الوزير اللاحق، ومن سيقراً تعقيبي المتواضع هذا.

فالحوار هو السبيل الوحيد للوصول إلى موقفٍ عربيٍّ مشمر، بعيدًا عن واقعنا

المرير الذي نعيشه اليوم، والذي هو ثمرة أفكارٍ بالية، فرضها المغرضون على الأمة. وعلينا اليوم تجاوز تلك الموروثات، والوصول إلى موقفٍ عربيٍّ موحد، رايته الهوية العربية، لبناء أمةٍ تعدادها 350 مليوناً، بقدراتٍ بشريةٍ وثرواتٍ اقتصاديةٍ هائلة، تُسهم في بناء عالمٍ حرٍّ وعادل.

والشكر موصولٌ لمركز الحوار، ولمديره الأستاذ السيد غندور، المدافع بإخلاصٍ عن هوية الأمة العروبية.

أبو ليث علي الرفاعي

أكاديمي جامعي - بغداد - العراق

تعقب الأستاذ زيد الوزير

قولك: «إن الأعاجم من أية ملة أساءوا للأمة تاريخياً واليوم يسيئون». أختلف معك فيه؛ فليس كل الأعاجم قد أساءوا إلى الإسلام، ولا كلهم ما يزالون يسيئون. فإذا أردنا الإنصاف، فعلينا أن نُحدد مصطلح «الأعاجم» بدقة لينضبط الحوار حوله، ثم من العدل ألا نُحمّل أخطاءنا على مشاجب غيرنا، كأننا أمة لا تخطئ؛ بل يجب أن نتحدث عن أسباب فشلنا بشفافية: لماذا فقدت الأمة العربية قيادتها السياسية في أقل من مئة عام؟ هذا أجدر بنا لخدمة العروبة الرائدة الداعية لوحدة العرب والمسلمين والإنسانية.

وأريد بكل صراحة أن أطرح أسئلة قد تفيدنا إن عرفنا جوابها: من الذي أساء إلى العروبة بالأمس؟ هل هم حكامها أم حكام الفرس؟ ومن يسيء إليها اليوم؟ أهو من يوالي إسرائيل أم من يحاربها؟ أهم الحكام العرب الذين يقفون ضد مقاومة إسرائيل؟ أم حكام الفرس؟ بالله عليك، سيدي، من يسيء اليوم إلى العروبة؟ أتباع أمريكا؟ أم مقاوموها؟

لنكن منصفين، ولنحدّد في أعماق النفس قبل أن نهرب إلى الأمام لنحدّد في فضاء غبشي كثيف. لقد كانت العروبة نقية رائدة عندما كانت ثقافة عالمية، فلما تخلّت عن دورها الريادي، عادت إلى عصر داحس والغبراء، ولكن بثياب أعرابها الجدد، وبداعشها الجديد.

أما ما نُسب إلى النبي الكريم بأنه قال للصحابي الجليل سلمان الفارسي، وقد سمعه يتأفف من العرب: «يا سلمان، من كره العرب فقد كرهني، ومن كرهني فليتبوأ مقعده من النار»، فلا أظن أن سلمان - رضي الله عنه - قد تأفف من العرب أصلاً؛ فقد عاش في أمن وكرامة بينهم، وكان مجللاً مكرماً، وقال فيه النبي: «سلمان منا أهل البيت». والنبي صلى الله عليه وسلم، صاحب الرسالة العالمية، ينهى عن الكراهية والفرقة، وعن التفاضل بالأنساب. قال: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»، فكيف يُخص العرب بميزة عرقية؟ وقد هاجم القرآن الأعراب بقسوة، والأعراب - عريقاً - من العرب، لكنهم "أجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله"، فميزة النبي للعرب كانت بلسانهم لا بعنصرهم، ولم يرد في القرآن شيء يدل على التمييز العرقي.

ووصف الله عز وجل القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٩٦﴾، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٩٧، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٩٨، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾ [الشعراء].

فهذا اللسان العربي المبين، صياغة لغوية لرسالة رب العالمين، وليس دلالة على جنس أو عرق. وقد وردت نحو ثمانين آيات تؤكد أن القرآن بلسان عربي مبين، أي بلغة عربية، لا أنه قرآن عربي بمعنى العنصر أو العرق. فالفهم السليم أن القرآن ذو ثقافة عربية لا عنصر عربي، وهو خطاب عالمي نزل بلغة العرب. فاللغة ثقافة، وليست عنصراً بيولوجياً.

قولكم: إن العربية وعاء الإسلام فكرًا وحكمة وفصاحة وبيانًا، فالدولة
بدأت في المدينة عربية بفكر إسلامي بوعاء عربي مبين ثم عربية إسلامية.
فأنا أتفق معكم. لكنني أختلف معكم في قولكم: «إن العرب ما يزالون مادة
الإسلام»، فهذا لا ينطبق اليوم؛ إذ إن حكام العرب مستخرون لخدمة غير
الإسلام، وقد عادوا إلى التناحر، كما في مأساة ملوك الطوائف. ومع ذلك
نأمل أن تعود العروبة إلى سابق عهدها. أما اليوم، فالحقيقة المؤلمة هي أن
“مادة الإسلام” أصبحت خاضعة للنفوذ الأمريكي لا القرآني.

أتفق معكم تمامًا في قولكم: «إن العلماء والفلاسفة مثل ابن رشد، وابن
سينا، والرازي، وإخوان الصفا، وأولاد الجزري، وابن الهيثم، والبتاني، وابن
البيطار، وابن حيان، وابن ميمون اليهودي، وحنين المسيحي، والخوارزمي،
والطوسي وغيرهم، هم عرب الفكر والثقافة عبر القرآن الكريم». لكن في
قولكم: «إن كل فكر يُسَفِّه الإسلام بحجة العقل والحدثة دون فهمهما
مرفوض». نوع من التعميم. فالعقل لا يُسَفِّه شيئًا، بل هو وسيلة للفهم والنقد
والكشف. نعم، العقل قد يُخطئ، لكنه لا يُسَفِّه؛ وإذا فعل، فهو ليس عقلًا؛
بل أداة تطرف أو تعصب. والعقل هو الوسيلة لفهم كلام الله، وهو الذي
أوصل البشرية إلى الإبداع والاكتشافات، وهو الجناح الثاني مع الدين
للوصول إلى المعرفة.

أوافقك أن تراثنا بحاجة إلى إعادة نظر من قبل علماء لغة وفقه وتاريخ
وعلم معاصرين. لكن أختلف مع قولك إننا «لا نبقي أسرى تفسيرات ترجعنا

إلى واقع قرون مضت»، لأنني أرى أن تلك التفسيرات القديمة – التي ما تزال تُدرّس وتُقدّس – هي أصل مشاكلنا اليوم. لا بد من تعريتها ونقدها، لا تجاوزها وكأنها لم تكن. أما الآية: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾، فلها سياقها في الحساب الأخروي، لا في تعطيل النقد التاريخي. فالقرآن قصّ علينا أخبار الماضين للعبرة والاعتبار، لتجنب مساوئهم، ونتعلم من تجاربهم. فكما بُعث الغراب ليُري الإنسان سوءة أخيه، فإن علينا اليوم أن نُفحص تاريخنا لنعرف مواقع الانحراف، ونُطهر الذاكرة من العوائق، لنستعيد حضارتنا وديننا الإنساني.

وختامًا: تحياتي لك تحية يملؤها التقدير، ولكل من قرأ تعقيباتك، ولمن قرأ هذا الرد. وأشكرك – سيدي – على أسلوبك الحوارى الراقى. فالحوار هو السبيل للوصول إلى موقف عربى إسلامى إنسانى بعيد عن واقعنا المرير. معًا فى درب البحث عن الحقائق وتجاوز العوائق.

تعقيب الرفاعي علي الوزير

الأخ العزيز زيد الوزير السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،
مرة أخرى أكرر الشكر لك لاهتمامك بموضوع يعد من مواضيع لعبت في
تاريخ الأمة أدوارا متباينة بين إيجابي وسلبي، ولا أريد التكرار لكنني وددت
الإيضاح كالآتي :-

• ليس المقصود الحركات الشعبية، بل الشعبية، فتلك خطأ طباعي مع
الأسف، فأنا لست ضد من يشعر ظلماً فيثور عليه بالحق لا بالباطل.

• حديث الرسول الكريم حول الصحابي الجليل معروف حسب كتب
الأحاديث ولم اخترعه، وإذا كان موضوعاً، فهذا دليل على عدم دقة
الأحاديث. فعلينا أن نتحقق منها جميعاً لا بالانتقاء. وليس فيه عنصرية، بل
تنبيه الصحابي الجليل للابتعاد عن العنصرية.

• الله سبحانه وتعالى يقول: «أنزلناه حكماً عربياً»، والمؤرخ الجليل جواد
علي يفسر ذلك بحكمة عربية. وفي القرآن الكريم إحدى عشرة آية تؤكد
عربية القرآن، بمعنى أن اللغة العربية وعاء الإسلام لغةً ونحوًا وفصاحةً وبيانًا
(بلسانٍ عربيٍّ مبين). وهذا لا يعني عنصرية أصلٍ ونسب، بل كل أمة أنزل
كتابها بلغتها. فالعنصرية مرفوضة ولا يتمسك بها ذو عقل.

• الفقهاء والعلماء الذين أشرت إليهم في تعقيبي السابق هم ولادة ثقافة
عربية إسلامية، وليسوا ولادة حضارة أصولهم، مع الاحترام لكل حضارة أمة

وإن اختلفنا معها. نشأوا بين 150 و350 هجري، أي بين خمسة أجيال وعشرة أجيال، وقد نسينا الفيلسوف العربي الكبير الكندي في تعقينا السابق.

• ليس هناك أمة بدون لغة وحضارة، ولم ننكر على الفرس حضارتهم، لكنها إسلاميًا كانت مجوسية أو زرادشتية أو مانوية، وهي مشركة تعبد غير الله من نار وأوثان، ومعتدية. والفرس أسلموا قسرًا حين حرر ابن الخطاب العراق، ثم أُجبروا على الإسلام، ومن يتابع كيف أسلموا لعرف ما أقصده. ولعبوا دورًا تخريبيًا في زمن الفاروق وعثمان وعلي، متعاونين مع بعض اليهود. فاغتالوا الفاروق، واغتالوا الإمام علي، والإسلام في بدايته. تلك وقائع تاريخية، ليست افتراءات عنصرية ضد الفرس. ومما يؤكد قولي هذا أنهم يتخذون من قبر أبي لؤلؤة، القاتل غيلةً للفاروق، مزارًا. كيف حضرتك تفسر هذا؟ ثم دورهم في شغب قتل عثمان، وما تلا ذلك من فتن. ولا أدري هل خيانة البرامكة للرشيد، وتشويه الفرس لتاريخه، ودورهم في فتنة الأمين والمأمون، ومن ثم تعاونهم مع هولاء، كل ذلك لم يثبت حقيقة دورهم في الإساءة للأمة العربية والإسلامية؟ نترك الجواب لمن يقرأ التاريخ بإنصاف.

• برأيي أن الأمويين، رغم بعض السلبيات على بعضهم، فقد أسسوا دولة عربية إسلامية محكمة، كدولة عصرية في زمانها وما يحيط بها من دول.

• المذاهب كما نعرفها هي اجتهادات لبعض من يظن أنه يخدم الدين، فتفسيراتها يختلط فيها قصر النظر الفكري أو القصد الذاتي للفقهاء. وإلا، فكيف أن البعض لا زال يقول بثبات الأرض ومركزيتها للكون؟ وكيف يفسر

البعض آية التطهير في سورة الأحزاب خاصة بالإمام علي وفاطمة وأولادهما، والله يخاطب نساء النبي بداية ونهاية، وسياقها لا يقبل التأويل. أليس ذلك تجاوزاً على كلام الله وفقه اللغة؟

• أما انغماسنا في مشاكل مضت قرونًا، يختلط فيها الحق بالباطل، ونحن في زمن بأمس الحاجة إلى وحدتنا وتعاملنا مع عناصر البناء الحضاري الحديث، الذي في الواقع لا يناقض مبادئنا العربية الإسلامية الأساسية. وتلك الآية الكريمة بشأن هذا الموضوع هي تأكيد على أننا لسنا مسؤولين عن خلاف اختيار خليفة الرسول وما تلا ذلك من أحداث مؤلمة، ليس هناك مشارك فيها بريء براءة تامة. فنحن أمام العالم اليوم بحاجة إلى وحدة موقف وعمل لبناء أمة كان لها دور تاريخي، رغم ما صاحبها من مشاكل كغيرها من أمم نعرفها تاريخيًا.

• أحداث اليوم أسبابها واضحة، تجمع بين حكام فاقد الحكمة، وحكام عملاء لأجنبي، ودعاة فكر وثقافة ترتبط أفكارهم مع من هم للأمة معادون، أو ذوي مذهبية طائفية، هدفها التوسع على حساب الأمة، فهي واضحة.

• من يظن أن هناك اليوم قوة ممانعة ومقاومة ضد الكيان الصهيوني، فهو واهم. فمن يعمل لدولة "ولي فقيه" علانية، ومن تسلّح إيران سواء في العراق أو سورية أو اليمن أو لبنان، إن هو إلا لإيران عميل، وإن النظام الإيراني لا يختلف عن أنظمة عربية مرتبطة بالأجنبي أيًا كان الأجنبي. فحُميني به أتت

مخابرات غربية، والقصة معروفة أسبابها إقليمياً ودولياً.
وختاماً، أخي العزيز، إننا اليوم بحاجة ماسة إلى موقف عربي إسلامي
حقيقي، ينقذنا من وضع ساهم فيه حكام متغطرسون، وحكام عملاء،
ومذاهب إسلاموية جاهلة، تعيش ماضٍ تركناه قروناً. لا فائدة من العيش في
تناقضاته اليوم، فالحق بيّن، والباطل بيّن، ولا فائدة من العمل في ساحة
الشبهات والتناقضات. وتحياتي للجميع.

رد الأستاذ زيد الوزير على الرفاعي

الأخ العزيز الدكتور أبو ليث الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
وبعد،

مرة أخرى أكرر الشكر لك على جوابك حول موضوع يُعد من المواضيع المهمة، بل البالغة الأهمية، ومن ثم فالحوار حوله يجب أن يُؤخذ بعناية، ويُدرّس بدقة، وبدون أفكار مسبقة، سبق لها أن استوطنت - بفعل ثقافة معينة - في الوجدان الجمعي، وأصبحت تقرأ الكلمات بوحى من ذلك المُستوطن السابق.

إن الوصول إلى النتائج الواضحة سهل وميسور، إذا لم نخضع لما كان قد استوطن، ورفضنا جديد الوثن، ومن هنا فأنا أرى يا أخي أن تقرأ كلمات التحوار بحروفها وجملها، لا بما قد يكون قد ارتسم مسبقاً في الذهن وتصلب فيه صخرة لا تلين. إن الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها التقطها، وعلينا أن ندرك أن لكل مقفل مفتاحاً، ولكل منغلق مخرجاً. علينا معاً أن ننطلق في النقاش بذهن صافٍ مما ترسّب فيه من التمذهب والتسييس اللذين بُلي بهما تاريخ المسلمين.

الحركات الشعبية

ثم أشكرك على توضيح الخطأ المطبعي الذي حصل في كلمة الحركة

الشعبية، بينما أنتَ قصدت الحركات الشعبية، وبهذا التوضيح استقر الحوار حول هذه الحركات الشعبية، التي يجب وجوبًا - حتى لا تبقي سببًا في الفارقة بين المسلمين - أن يتوضح مضمونها، وقبل ذلك سبب وجودها، من أجل تدارك قيام شعبيات أخرى من كل لون وجنس. وقد كتبت لك في الرسالة السابقة محاولاً تحديد إطارٍ للحوار، فقلت: «قبل أن أحمل الفرس - وهي أمة عظيمة فيها البر والفاجر، كما هو الحال في الأمة العربية، وفي غيرها من الأمم - جريرة الحركات الشعبية والحق على الإسلام، وعلى الأديان، علينا أن نبحث عن حقيقة هذه الشعبية، وهل هي من قبل أفراد؟ أم من قبل أمة كاملة؟ علينا أن ندرسها دراسة علمية بحتة، وهل كانت هي ردّ فعل للعصبية التي أحيّاها الأمويون، بعد أن دفنها الرسول الأعظم؟ فإن كانت ردّ فعل لحالة الموالى المستضعفين فلها حكمها، وإن كانت فعلاً مقصوداً بدون سبب، فلها حكمها أيضاً، ومن ثم نبني على الحقيقة أخطارها، ونحمل - بعد الدراسة النقية - أحد الجانبين أوزارها، أما تحميل أمة كاملة، فليس إلى ذلك من سبيل».

ولكنك سيدي الدكتور لم ترد على تلك الاستفهامات، وبقيت تضرب على إيقاع الشعبية بدون أن توضح سبب نشأتها، وتطورها، ومضمونها، ... إلخ؛ بل تتحدث عنها، وكأنها واضحة الملامح، بينما هي تاريخياً مبهمة السمات. وقد لاحظت يا سيدي أن لك موقفاً مسبقاً من مصطلح الشعبية، وأنتك تملك كمّاً من كراهيتها، ومن ثم لم يعد لديك شك فيها وفي تفاصيلها

وأهدافها، وتكتفي بقذفها تهمة ناجزة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. وأنت تدرك أن أي تهمة عنصرية أو مذهبية بحاجة إلى بينات، وأن إرسالها تهمة جاهزة مسلّم بها عند قوم، يشكّل أول عائق في سبيل الوصول لمعرفةها. ومع ذاك فهل يمكن أن تنورنا بما ملكت من علم عن ما سبق أن سألتك عنه، ليكون النقاش ضمن ما نحن على ثقة منه؟ ولكنك لم ترد عليها، مع أن معرفة أسباب نشأتها وطبيعتها أمر يفرضه البحث.

وأسألك الآن: ماذا يعني تهميش الموالي المسلمين؟ ماذا يدل اعتبارهم أدنى درجات السّلم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي؟ وأنت تعرف قبل غيرك أن توزيع العطاء كان يُوزّع - بعد الراشدين - على أساس عنصري، يبدأ من الأعلى بقريش، ثم هبوطاً بمضر، ثم اليمانية، ثم الموالي. فماذا نسّمّي هذا التقسيم؟ هل هو نوع من الشعوبية العربية؟ هل هو شعور بتفوق العنصر القرشي، فالمضري، فاليماني، على الموالي؟ وهذا لن يرضى به أحد من طلاب «الاتحاد الإسلامي العربي»، لأن تلك التقسيمات لا تتطابق مع الآية الكريمة:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، ولا مع حديث رسول الله: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»، ولا مع ثقافة العروبة الإنسانية.

وكنت قد سألتك سؤالاً محدداً: من هم الأعاجم في نظرك؟ هل هم غير العرب؟ هل هم أمم شتى؟ أم أمة واحدة؟ وهل هؤلاء الأعاجم مسلمون؟ أم

أن العرب وحدهم هم المسلمون والآخرين غير مؤمنين؟ ألا يُشبه هذه المقولة قول الشاعر:

وما الأرض إلا لنا وحدنا ولكنهم غاطونا بها

فإذا كان العجم هم من لم ينطق بالعربية، فملايين المسلمين لا يتكلمون بها، وإذا أحصينا من ناوًا الثقافة العروبية عددًا، فإننا نجدهم قلة قليلة، بينهم عرب.

أليس أن محاولات إلغاء الحرف العربي، والنطق باللهجة الأقلية، ونبد التكلم بالعربية، والكتابة بالحرف العربي - كما يدعو إليها بعض العرب - شعوبية إقليمية داخل العرب أنفسهم؟ وفي علمي أن الأعاجم كانوا يتبركون بالعرب.

إن معالجة مصطلح الشعوبية ومصطلح الأعاجم ومعرفة حقيقتهما أمر ضروري، لمعرفتهما على حقيقتهما، لا لإبقائهما مجرد تهم بهلوانية تُطلق لأغراض سياسية. ومن المؤكد أن رميها بدون فهم ظروف نشأتها ومضمونها يُعتبر معالجة سياسية بحتة. إن عبد الناصر العربي مدّ يده لثورة مصدق العجمي "الشعوبية" كما تسميها سيدي.

ولقد كنتَ مصيبًا في قولك: «فأنا لست ضد من يشعر ظلمًا فيثور عليه بالحق لا بالباطل»، وقد شعر الموالي بالظلم، فثاروا مرارًا لدفع الظلم عنهم. إذًا، فعدم توضيح الشعوبية لن يفضي إلى الخروج من دوائر ما استوطن. قلتَ سيدي إن حديث الرسول الكريم حول الصحابي الجليل سلمان

معروف «حسب كتب الأحاديث ولم اخترعه». حاشا لله أن يقول أحد إنك اخترعته، أو لمحت إلى مثل هذا القول، وإنما أشرت إلى أنه يخالف احترام النبي والصحابة له حتى عده من أهله «سلمان منا أهل البيت»، مما يشير إلى أنه حديث موضوع. وأنت قد قلت: «وإذا كان موضوعاً فهذا دليل على عدم دقة الأحاديث، فعلينا أن نتحقق منها جميعاً لا بالانتقاء»، وعليه فليس لنا أن نحتج بحديث تعتوره الشكوك، ولا ننتقي أحاديث قد ارتسمت مسبقاً في الذهن - كحقائق - بدون فحص ولا تنقيب. وما رويته سيدي وقلت: «ليس فيه عنصرية، بل تنبيه الصحابي الجليل للابتعاد عن العنصرية»، قد يجوز هذا التفسير لو صحت الواقعة، ولكن الواقعة كانت منذ البدء وقية.

أما أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَنْزَلْنَاهُ حِكْمًا عَرَبِيًّا﴾، وأن المؤرخ الجليل جواد علي يفسر ذلك: حكمة عربية، وأن في القرآن الكريم إحدى عشرة آية تؤكد عربية القرآن، بمعنى أن اللغة العربية وعاء الإسلام لغةً ونحوًا وفصاحةً وبيانًا، فهذا صحيح. أي أن ثقافة العرب وحكمة العرب هي ثقافة القرآن، ثقافة الإسلام، وليست الثقافة عنصرية؛ فاللغة هي ثقافة، وليست عنصرياً أو عرقاً. وقد قلت أنت بإنصاف: «وهذا لا يعني عنصرية أصل ونسب، بل كل أمة أنزل كتابها بلغتها، فالعنصرية مرفوضة، ولا يتمسك بها ذووا عقل».

ومع أنني أتفق معك فيما ذهبت إليه من «أن هؤلاء الفقهاء والعلماء الذين أشرت إليهم في تعقيبي السابق هم ولادة ثقافة عربية إسلامية»، لكن ما

ذهبت إليه بحاجة إلى تجليس أدق، ويمكن أن يُضاف إلى قولك: «ولادة ثقافة إسلامية»: بلسان عربي مبين في البداية، ثم بالسنة متعددة فيما بعد، وكلاهما مصدرهما واحد: هي اللغة العربية. وبهذا التجليس يتم الاتصال بين اللغة العربية التي حملت الثقافة الإسلامية، ومن هنا يتأكد أن العروبة ثقافة، وليست جنسًا، وليست دينًا. إن كثيرين من النصارى العرب ليسوا مسلمين، ولكن ثقافتهم وحضارتهم - كالعرب المسلمين - هي الإسلام. فالجامع العربي هو الثقافة، ومن ثم فليس في الإمكان وصف دين بالانتماء العرقي، فنقول: دين عربي، ودين أوروبي، وإنما نقول: دين الإنسان بلغات مختلفة، كان للعرب ولسانهم ريادة انتشارها.

ما قلته، سيدي، أنه كان للفرس حضارتهم، وكانت مجوسية أو زرادشتية أو مانوية قبل الإسلام، وهذا صحيح. وكذلك كان العرب يعبدون الأصنام. وقد أضفت: «الفرس أسلموا قسرًا حين حرر ابن الخطاب العراق، ثم أُجبروا على الإسلام، ومن يتابع كيف أسلموا لعرف ما أقصده».

وقد تابعت تاريخهم، وتابعه مستشرقون كبار، ولم أجد أحدًا -إلا مستشقي الاحتلال الأوروبي- قال إن الفرس أسلموا قسرًا، وأجبرهم ابن الخطاب على الإسلام إجبارًا. فالمعروف أن الفرس أدركوا عظمة الإسلام وعدله، وتحريره لهم من المظالم الكسروية، فدخلوا في دين الله أفواجًا.

ودخلت أمم شتى من غير الفرس في الإسلام اقتناعًا، وكانت إندونيسيا وحدها أكبر من كل الدول التي قاتلت الإسلام عددًا، وقد دخلت هي وغيرها

في الإسلام بدون سيف ولا رمح. واقرأ، إن شئت، كتاب الدكتور المرحوم حسين مؤنس: “الإسلام الفاتح”، فسيذهل القارئ من المناطق الواسعة التي دخلها الإسلام دون قتال.

إن إصرارك، سيدي، على تصديق روايات مختلقة، لدليل على تحامل واضح. وإذا سلمنا جدلاً أن الفرس قد أُجبروا على الإسلام قسراً، فلماذا لا تقول: إن الشام البيزنطية أُجبرت على الإسلام؟ وأن الفاروق عمر هو من أدخلهم بالسيف؟

وما ذهبت إليه من قول كهذا، هو بالضبط ما قاله مستشرقو الاحتلال الأوروبي، من أن الإسلام انتشر بالسيف. فانظر كيف قادتنا الكراهية إلى هذه النتيجة المختلقة أصلاً.

أما أن الفرس لعبوا دوراً تخريبياً في زمن الفاروق وعثمان وعلي، متعاونين مع بعض اليهود، فقول لم يصح تاريخياً، أو على الأقل مشكوك فيه إلى حد كبير. والذي اغتال الفاروق هم أقل من خمسة أنفار، بينهم المتآمر كعب الأحبار العربي، والذي نفذ الجريمة شخص واحد فقط من الفرس.

أما الذي اغتال الإمام علي، فعربي يماني من مراد، اسمه عبد الرحمن بن ملجم. والاثنان اللذان فشلا في اغتيال معاوية وعمرو بن العاص هما: البرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي، وهما عرب أقحاح، ليس بينهم وبين الفرس صلة. فهل نتهم اليمانيين مثلاً، وتميم، بالكيد للإسلام؟ كما يحاول دكتورنا الكريم أن يتهم أمة كاملة بجناية فرد، أو أفراد!

وقال مستدلاً على بغض الفرس للإسلام، أو بغضه هو للفرس والشيعة: «ومما يؤكد قلبي هذا أنهم يتخذون من قبر أبي لؤلؤة، القاتل غيلة للفراروق، مزاراً».

وأنا زرت إيران، وقرأت تاريخها، فلم أجد له قبراً، ولا ذكراً. ثم إنه قُتل بالمدينة ودُفن بها، فكيف أقبل قولاً بأن الفرس يزورون قبر قاتل الفاروق؟ وأين؟ في مدينة رسول الله؟ وتحت حكم حكام عرب مما يسمى أهل السنة والجماعة؟ ولم يحكم المدينة فارسي قط، حتى يسهل لهم اتخاذ قبره مزاراً. وهو -حفظه الله ورعاه- قد سألني: «كيف حضرتك تفسر هذا؟» فأعيد عليه نفس السؤال، بنفس كلماته: «كيف حضرتك تفسر هذا؟»

وأتهم عبد الله بن سبأ اليهودي، والذي أسلم وتشيع، بالشغب المؤدي إلى قتل عثمان وما تلا ذلك من فتن. ولكن الذي قتل عثمان هم العرب، بمن فيهم بعض القرشيين من أولاد الصحابة.

وحكاية أن يهودياً واحداً أثر على جماهير المسلمين تأثير النار في الهشيم، حديث خرافة يا أم عمرو، اصطنعها الأمويون بدون شك، لأن تأثر رجل فرد على طائفة كبيرة ليس بتلك السهولة التي ذكرتها القصة، وصبغة الاختلاق ظاهرة عليها من حيث أتيتها.

نحن اليوم نعيش في ثورة اتصالات، ويتكلم من في الشرق مع من في الغرب في لحظة واحدة، فلم نسمع أن فرداً واحداً عمل الأعاجيب.

فلينين، وستالين، وهتلر، وموسوليني، وغيرهم، لم يكونوا وحدهم، بل كان

يحيط بهم رجال من ذات تفكيرهم، ومع ذلك فإن أفكارهم لم تنضج إلا بعد سنين طويلة وعنتٍ كبير.

فكيف قُدِّر لهذا الرجل أن يشعل تلك الفتنة في السنوات الست الأخيرة من حكم عثمان؟

ومن الملاحظ أن نشأة "الخرافة السبئية" قد وُلدت مع بداية السنوات الست من الامتعاظ من تصرفات الحاشية الأموية في ظل عثمان رضي الله عنه، فكأنما أريد لها أن تُغطي على تصرفات عنصر السوء: مروان بن الحكم، في هذه المأساة، كما يسميه الأستاذ العقاد.

ثم إن دكتورنا يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بقي عشر سنوات يُقنع الناس برسالته الإلهية، فلم يستجب له إلا بعد حين.

ألا يُسوقنا هذا الكلام إلى إظهار عبقرية العقلية اليهودية وغباء العقلية العربية؟ علينا أن نفرّق بين قصص الإخباريات وحقائق التاريخ، ونعتمد على وقائع التاريخ، لا على مكاييد السياسة وتضليل التمهذب.

وقد أحسن الدكتور صنعاً في عدم الحكم على خيانة البرامكة للرشيد، وتشويه الفرس لتاريخه، ودورهم في فتنة الأمين والمأمون، فهذا على الأقل عمل مؤرخ لا يكتب إلا بعد أن يتيقن.

ولكنه -مع الأسف- عاد إلى ما استوطن في ذهنه، فاتهم الفرس بـ«تعاونهم مع هولاءكو»، ولا أعرف أن فارساً مسلمة تعاونت مع هولاءكو.

والذي أعرفه يقيناً أنهم قاتلوه قتلاً مريعاً، وتعرضوا للمذابح، وتخريب

مدنهم، واستعباد رجالهم، وسبي نسائهم، وأصبحت مدنهم العلمية خرابًا وأطلالًا.

لكنه ربما يشير إلى وزير المستعصم العباسي، ابن العلقمي، وأنه تمالأ معهم وخان المستعصم.

وإذا صحت خيانتة للعباسي، فكم من أهل السنة خانوا أئمتهم؟ وكم من أهل الشيعة خانوا أئمتهم؟

وعلى أي حتى الآن لم أصل إلى نتيجة حاسمة في حق ابن العلقمي، ولا أستطيع الحكم عليه أو له، لأن الأخبار عنه على طرفي نقيض.

وقد ارتبط موضوعه بالمذهبية أكثر من ارتباطه بالتاريخ، فكثير من كتاب ما يسمى بـ«أهل السنة» يؤكدون هذا الاتهام، وكثير ممن يسمون بـ«الشيعة» يبرئونه منها.

وقد روى مؤرخ المغول، رشيد الدين الهمذاني -المعاصر لتلك الفترة- أنه كان وزيرًا مخلصًا للمستعصم، وأنه حاول بنصائحه أن ينقذ ما يمكن إنقاذه في ظل خليفة كان مشغولاً باللهو وبنسائه وجواريه، ويجزم هذا المؤرخ أن مخالفة المستعصم له هي السبب في انتصار هولاكو على هذا الخليفة الضعيف.

وما يضعف حجة القائلين بالخيانة، أن الوزير العلقمي أُهين على أيدي التتار بعد دخولهم بغداد، وأُهمِل شأنه. وكان مُنْعَمًا في ظل المستعصم، حيث بقي في الوزارة أربعة عشر عامًا، وكان المستعصم قد وثق به فألقى إليه

زمام أموره. وكان حازمًا خبيرًا بسياسة الملك.

وعلى كل حال، سواء صحت خيانتة أم لم تصح، فالعَلْقَمِي لم يكن فارسيًا، وإنما كان عربيًا. وربما يريد دكتورنا أنه كان شيعيًا، والشيعَة عنده فرس، مع أن إيران في تلك الفترة كان أغلبها غير شيعَة، ولم تتشيع إلا في فترة متأخرة بعد دخول هولاءكو إلى بغداد.

ومن خلال كتاب ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، الذي ألفه للوزير العَلْقَمِي، نجد ابن أبي الحديد منصفًا معتدلًا، ولو كان ابن العَلْقَمِي إماميًا لما طلب منه تأليف الكتاب، وفيه الترضية والثناء الكبير على أبي بكر وعمر. ولما عينه المستعصم وزيره الأول، بقي في منصبه طيلة أربعة عشر عامًا.

الدولة الأموية دولة إسلام أم دولة مسلمين

أما قولك سيدي إن الأمويين ارتكبوا بعض السلبات على بعضهم، فقول يظهر فيه المتعاطف ويختفي المؤرخ، بل الحق أنهم ارتكبوا الكثير من السلبات: مذبحَة كربلاء، ورمي مكة بالمنجنيق، واستباحَة المدينة. ويكفيها هنا أن تأتي بشاهد من أهله، هو أمير المؤمنين الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، الذي قام بعدة إصلاحات ضد تصرفات أهله، معروفة لا نحتاج إلى إثباتها.

وأما أنهم أسسوا دولة عربية فصحيح، ولكنها قائمة على عنصرية اجتماعيًا واقتصاديًا وطبقيًا، مما سبب في انهيار الدولة العربية نفسها. وأما أنها دولة

إسلامية، فالقول الصائب والأدق: إنها دولة مسلمين، وليست دولة إسلام، فدولة الإسلام هي دولة الإمارة الراشدة، بالإضافة إلى دولة عمر بن عبد العزيز، وأما غيرها فدول مسلمين.

وأما أنها كدولة عصرية في زمانها، فيمكن أن تكون كذلك، أن الخلف كالسلف، أي دولة فردية شديدة البطش، ولقد قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز عن ولاة الأمصار أيام الوليد بن عبد الملك: «الحجاج بالعراق، والوليد بالشام، وقرّة بمصر، وعثمان بالمدينة، وخالد بمكة. اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فأرح الناس».

كما رسم أمير المؤمنين المصلح الصالح صورة بيانية للحكم الأموي الأول، فقال: «إن الله تعالى بعث محمداً رحمة، ولم يبعثه عذاباً إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده، وترك لهم نهراً شربهم فيه سواء. ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله. ثم ولي عمر فعمل عملهما، فلما ولي عثمان اشتق من ذلك النهر نهراً. ثم ولي معاوية بن أبي سفيان فشق منه الأنهار، ثم لم يزل النهر يُشق منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان. حتى أفضى الأمر إليّ، وقد يبس النهر الأعظم؛ فلا يروى أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه».

وبعد هذا تقول لي - سيدي الدكتور - إنها دولة إسلامية؟ أين تطبيقات الإسلام وقد وصفها عظيم الإسلام بهذا الوصف البياني البليغ؟ وهذا العظيم لم يختلف على صلاحه المخالف والمؤالف، بينما اختلفوا في الراشدين

الخمسة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن، لكنهم لم يختلفوا فيه ولا معه حتى متطرفة الخوارج.

وقلت يا سيدي: «أما انغماسنا في مشاكل مضت قرونًا يختلط فيها الحق بالباطل، ونحن في زمن بأمس الحاجة إلى وحدتنا وتعاملنا مع عناصر البناء الحضاري الحديث الذي في الواقع لا يناقض مبادئنا العربية الإسلامية الأساسية». فإن الاختلاف ليس إلا في أمر واحد، وهو اختلاف بين منهج الإمارة الراشدة القائمة على العدل والشورى والقيادة الجماعية والفصل بين المال والإمارة والتداول السلمي للحكم؛ وبين منهج الحكم الفردي الملكي القيصري السلالي الوراثي، فإن لم يُدرس الفرق بين المنهجين ويصبح الأسلم هو النموذج، فسيتبقى الغبش قائمًا، وسيظل حكم الباغي هو الرشيد. ألم يحكم الرسول على أن قتلة عمار بن ياسر بغاة؟ فكيف لا نصدق النبي على قول لا يقبل تأويلًا. إن حكم البغاة هو الساري حتى اليوم، فكيف تريدنا أن نمزج البغي بالرشد؟ علينا أن نفرق بين نظام الإسلام ونظام المسلمين.

وقلت سيدي: «وتلك الآية الكريمة بشأن هذا الموضوع هي تأكيد على أننا لسنا مسؤولين عن خلاف اختيار خليفة الرسول، وما تلا ذلك من أحداث مؤلمة، ليس هناك مشارك فيها بريء براءة تامة. فنحن أمام العالم اليوم بحاجة إلى وحدة موقف وعمل لبناء أمة كان لها دور تاريخي، رغم ما صاحبها من مشاكل كغيرها من أمم نعرفها تاريخيًا». أقول أخي: إننا عندما نفتش عن العوائق التاريخية الضاربة، فإننا يجب أن ننطلق من بحث تاريخي صرف،

لا نسعى إلى إدانة، ولكن نسعى إلى تقويم. نريد وضوحًا كاملاً وتوصيفًا شاملاً، لسنا مسؤولين عن خلاف اختيار خليفة الرسول وما تلا ذلك من أحداث مؤلمة، ولكننا مسؤولون عن دراسة ما حدث بين المنهجين لتجنب العثرات. ويقيني أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لم يرشح أحدًا من بعده، وترك للصحابة أن يصيغوا أمورهم وفق مصالحهم، ووفق الثوابت القرآنية، وأن ما حدث من حوار يوم السقيفة هو حوار أشقاء، يبتغون الخير لدينهم، وليس في اجتماعهم ما يؤخذ عليه سوى أن الشورى لم تكتمل، والترشيح تم والناس في اضطراب عظيم لهول وفاة الرسول الأكرم. وليس من شك أن أبا بكر أثبت - بمؤازرة عمر وعبيدة بن الجراح - أنه كان رجل المرحلة الذي التقط اللحظة المناسبة. فالدراسة خارج هذا الإطار هي دراسة مذهبية بامتياز، سياسية بتفوق.

محاوَر الصراع في المنطقة

أما قولك سيدي: «وبأمانة، من يظن أن هناك اليوم قوة ممانعة ومقاومة ضد الكيان الصهيوني فهو واهم، فمن يعمل للدولة ولي فقيه علانية، ومن تسلحه إيران سواء في العراق، أو سورية، أو اليمن، أو لبنان، إن هو إلا لإيران عميل، وإن النظام الإيراني لا يختلف عن أنظمة عربية مرتبطة بالأجنبي أيا كان الأجنبي، فخميني به أتت مخابرات غربية، والقصة معروفة أسبابها إقليميًا ودوليًا». فأجدني أخالفك فيما ذهبت إليه، فأولاً دعنا نتفق على

محتوى كلمة “عميل” التي تُستخدم في الاتجاهين. فلو وُجدت قيادة عربية رشيدة تنادي بالاتحاد الإسلامي واستجابت لها دول غير عربية، هل سنقول إن من استجاب للعرب هم عملاء للعرب؟ أم أنهم وحدويون إسلاميون؟ وعندما استجابت مصر بقيادة عبد الناصر وتوحدت مع سوريا، هل سنسمي السوريين عملاء لعبد الناصر؟ ألا تشاطرنى الرأي أن كلمة “عميل” وُلدت يوم وُلد تقسيم الدول الإسلامية والعربية على يد المحتلين الأوروبيين؟ يا سيدي، معاجمنا لم تنضب، والعدل هو الفارق بين الحق والباطل، ونحن لنا مصطلحات خاصة بنا هي: العدل والظلم، فأنا أرفض حكم رئيس ظالم، مهما كان مذهبه ودينه. ولقد التجأ بعض الصحابة إلى ملك نصراني لا يُظلم عنده أحد، فروا من مظالم أهلهم، فهل هم عملاء؟

لأَمْضِ معك لأرى أين ستوصلنا بغير قصد؛ هل سنساوي بين أردوغان والخامنئي، مقابل بيريز ونتنياهو؟ وهل سنساوي بين المقاومة الإسلامية وبين الجيش الإسرائيلي؟ وهل ستساوي بين من حضر دفن بيريز المملوكة يده بدم العرب، ومن رفض - في الوقت نفسه - الاعتراف بالدولة الصهيونية، ورفض إغراءات مالية ضخمة تقدمت بها ألمانيا إلى طهران؟ إلى أين تسوقنا هذه المقابلات؟ لو اتبعناها لمحونا كثيرًا من المسلمين من الخريطة. ثم إن هذه المقابلات تكرر ما أنجزه الاحتلال البريطاني من تفرقة إسلامية وعربية. عبد الناصر زعيم القومية العربية، مد يده لمصدق الفارسي من أجل قضية فلسطين، وقبيل اليوم سلّمت إيران سفارة الصهاينة للفلسطينيين، ودعمت

كل مقاوم يحارب إسرائيل، ومع هذا تسمي حزب الله وحماس عملاء لإيران؟ لقد سلبتهم سيدي عروبتهم تمامًا، وأنكرت عليهم روحية إسلامهم أيضًا، وبالتالي شهداءهم. أنى أربأ بك يا حفيد رسول الله أن تنسى دعوة جدك العالمية الداعية لوحدة المسلمين ووحدة الإنسانية.

ومن الغريب أنك تعتبر العراق وسورية واليمن ولبنان عملاء لإيران، فماذا أبقيت من عرب لتفتخر بهم؟ لم تُبقِ يا سيدي من يمثل العرب والعروبة إلا دول شطايا الخليج والسعودية، وأنت تعرف جيدًا أنهم يتسابقون على مد أيديهم إليها. تزعم أنك قومي عربي إسلامي، فلماذا لا تطبق على نفسك قول صفوان بن أمية، وهو على الشرك ومن المتعصين لعنصره القرشي، وقد رأى جيش المسلمين يهزم أمام هوازن وكلهم عرب. روى ابن إسحاق: «لما انهزم المسلمون، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزام لمعه في كنانته، وصرخ جبلة بن الحنبل - وقال ابن هشام صوابه كلد - ألا بطل السحر اليوم. فقال له صفوان أخوه لأمه، وكان بعد مشرًا: اسكت فضّ الله فاك، فوالله لأن يريني رجل من قريتي أحبّ إليّ من أن يريني رجل من هوازن».

ولو كنت مطبقًا لاعتقادك بعروبتك وإسلامك، لقلت: فوالله لأن يريني رجل من المسلمين أحبّ إليّ من أن يريني رجل من أمريكا أو بريطانيا، وهما

الذين أنزلوا بنا الموبقات. أنا على حفظ مكانتك العلمية لضنين، وبدافع المحبة العلمية أقول لك: يا سيدي ويا ابن عمي، إن لك شطحات أرجو منك أن تعيد قراءتها، لك الحق أن تعارض إيران أو تعارض تركيا، وأن تعارض الشيعة، وأن تتحدث عن أخطائهم، بدون أن تنزلق إلى الكراهية فتفقد الإنصاف.

ولكي نصل إلى نتائج واضحة يزول بها كل مبهم، فيجب أن تقوم التهم على دعاوى وبيّنات.

فما هي الدعاوى والبيّنات التي تأخذها على إيران؟

وما هي الدعاوى والبيّنات التي تأخذها على العراق؟

وما هي الدعاوى والبيّنات التي تأخذها على سوريا؟

وما هي الدعاوى والبيّنات التي تأخذها على لبنان؟

وما هي الدعاوى والبيّنات التي تأخذها على حزب الله الشيعي؟

وما هي الدعاوى والبيّنات التي تأخذها على حماس السنية؟

ثم ما هي الدعاوى والبيّنات التي تأخذها على اليمن؟

ومن ناحية أخرى، حصرت سيدي اتهاماتك في جانب واحد، هو جانب المُقاوم، وتركت الجانب المعادي له مقفلاً على مصائبه، لم تلمسه، ولم تعالج ذنوبه؛ لم تتحدث عن دور دول الشظايا في الخليج والسعودية ومصر والأردن والمغرب والسودان، وبلاك ووتر، ومرترقة كمبوديا وإريتريا في عدوانهم على اليمن وسحقهم البنية التحتية، كالمستشفيات والجامعات

ومأوى العجزة وتهديم التراث التاريخي، ومن ورائهم جميعاً أمريكا وبريطانيا؟ أتدري لماذا سيدي هذا العدوان المقيت؟ حتى لا يقع باب المندب تحت القبضة الأمريكية - الإسرائيلية. وأنت تعلم أن البحر الأحمر واقع عملياً الآن تحت النفوذ الأمريكي الإسرائيلي، فقناة السويس تحت إشراف غير مباشر لأمريكا، وخليج العقبة ومضائق تيران تحت نفوذهما كذلك، ولم يبقَ مستقلاً إلا المنفذ الوحيد الآن المتحرر من أي نفوذ أجنبي، وهو باب المندب.

ولكي نصل إلى النتيجة المطلوبة، فلا بد من الحديث عن الجانبين، حتى لا يختل ميزان البحث العلمي. فلو أجرينا دراسة علمية بحتة - غير متأثرة بمذهب، أو توجه سياسي - على حقيقة العمل، لذهبت التسمية إلى أصحابها مباشرة وبدون اختلاف. وأصحابها هم بكل تأكيد حكام العرب، لا حكام فارس، ولا باكستان، إلخ. وبدون هذا التعريف المحدد، سيظل يرمي هذا ذلك، ويقذف ذاك هذا، في تعبيرات هلامية مهلكة وهالكة.

دعنا سيدي من تهمة السياسيين وصيغهم وعباراتهم، فهي التي مزقتنا تمزيقاً، وهي التي لا يقوم عليها مشروع بناء مستقبلي، دعنا ندرس العوائق التاريخية بعقلية مؤرخ، لا بنزعة فقيه سلطة، ولا بغريزة سياسي انتهازي. فهذه وتلك هي التي أوصلتنا إلى المرحلة الهلامية التي نحن بصدددها.

وبهذا المعنى، أتفق معك: «أنا اليوم بحاجة ماسة إلى موقف عربي إسلامي حقيقي، ينقذنا من وضع ساهم فيه حكام متغطرسون، وحكام

عملاء، ومذاهب إسلاموية جاهلة». ولكني لست معك فيما ذهبت إليه من أن هذه المذاهب «تعيش ماضٍ تركناه قروناً، لا فائدة من العيش في تناقضاته اليوم»، إذ أن الحق لا يتبين والباطل لا ينجلي إذا تركناه في ساحة الشبهات والتناقضات، ولكنه يظهر بجلاء إذا ما كشفت الحجب المتراكمة عن جذوره وامتداداته الموبقة إلى حاضرننا ومستقبلنا.

وإذا تأملت سيدي في جملتك هذه، فإنك تتفق مع تلك المذاهب - التي تهاجمها - والتي تمنع الخوض في كشف ما صاغته هي من تزييف مبین، ليس له أصل في الواقع، ولكنه شوّه إلى حد كبير ألق الإسلام وأعاق حيويته.

وتقبل مني سلام أخ لك يتمنى لك التوفيق فيما تهدف إليه.

زيد بن علي الوزير

النقد السياسي الحديث

د. علي عطية عبد الله الرفاعي



{وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله}.
صدق الله العلي العظيم، وبه نستعين.

سأتحدث وتلك الآية الكريمة أمامي بإذن الله، لا أقصد حوارنا، بل واقع حال الأمة. ومن هنا سأحاول جاهداً الإجابة على ملاحظات أخي في العروبة والإسلام السيد الوزير، حفظه الله ورعاه بهدايته وصلاحه، وأصلحنا وهدانا أجمعين، وبعد:

مقدمة:

إنني الفقير إلى الله، علي عطية عبد الله الرفاعي، نشأت عربياً إسلامياً، ولا زلتُ على طريقي هذا محافظاً وبه متمسكاً، لكنني وعيتُ على حال أمة عربية، أعتقد أنها من خلال ابنها الأمين محمد بن عبد الله، اختارها الله

لحمل آخر رسالة لدين الله على الأرض، وجعل من لغتها وحكمتها وعاءاً للإسلام فكراً وبلاغةً وفصاحةً، ثم كلفها بحمل تلك الرسالة الشريفة للعالم أجمع.

ولم تكن هذه الرسالة سهلة الاستيعاب عند عتاة قريش، فهي تحدُّ من جبروتهم ومصالحهم، وتلك طبيعة بشرية، الله سبحانه أعلم بها منا جميعاً، وأنزل العديد من الآيات بشأنها. وهذا قولٌ حقٌّ لا افتخار فيه على أحد، بل مسؤولية إنسانية، لذا كان لبلال الحبشي، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، دورهم في بداية الدعوة الإسلامية. والعروبة الإسلامية لا تفرق بين أصول البشر، ففي الجزيرة العربية واليمن كان بين العرب اليهودي دينياً، والمسيحي دينياً، ومن لا دين له. لكن، كما هو حال الأمم قبل الإسلام، هناك رقٌّ وممارسات بشرية لا تليق بإنسانية الإنسان. ورغم أن الله عنها نهى عبر رسالاته منذ نوح، وهود، وشمود، وشعيب، وموسى، وعيسى، قبل محمد، صلى الله عليهم جميعاً، إلا أنها استمرت. والله تعالى وصف الإنسان، وهو خالقه، وصفاً دقيقاً: هلوغاً وجزوعاً، ولا أظن أن هناك من يصفه خلافاً لذلك.

فالإسلام - إن صح التعبير مجازاً - ثورة فكرية عميقة، ليس من السهل أن كل إنسانٍ يستوعبها بعمق خلال ربع قرن، وأمامنا اليوم كثير من الأمثلة على ذلك.

من هنا، فإن الإغراق في مشاكل حدثت بعد وفاة الرسول (23 سنة عمر

الرسالة) دون تفهمها وتفهم أهداف البعض بشأنها، لم يفدنا اليوم بعد (1414 عاماً)، والانشغال بها، فلا أقر الإغراق فيه اليوم، إنما عبرة لتجاوز كل سيئ فيه، وليس كل من ثار وقتها على حق، وليس كل من حكم كان مطلق العدل والاستقامة، إنما كل شيء نسبي، فجدُّنا الحسين غشه المنافقون من أهل الكوفة، وثار على حكم بايعه أكثرية الناس، فهو بحكم القوانين شرعي، وأي ثائر ضد نظام منتخب سابقاً واليوم لا يُتساهل معه. وقد نصحه أحبه له بالعدول عما قرره، وذكَّروه بموقف هؤلاء من والده، وهذا ما حدث؛ خذلوه، بل شارك البعض بقتله، فهل اجتهد فرد - مهما علا مقامه - يخلق فتنة في الأمة يصبح حالة ثأرية تشغل الأمة بفتن مستمرة بإدارة فارسية؟ هذه الأفكار التاريخية المثبتة هي المستوطنة في ذهني، وعليها أسست ثقافتني، من أجل أمة، لا من أجل أفراد، كانوا على حق أم على باطل.

وبناءً عليه، أدعو لوحدة أمة عربية أولاً، كدائرة قد تتسع إسلامياً وفق ظروف إنسانية متاحة، لا إكراه دولاً لأعجميتها، بل أعارضها لتدخلها في شؤون الأمة العربية، لادعاءات مذهبية باطلة، هدفها توسع عنصري على حساب الأمة العربية.

فلا ترسبات لكرامية، كما ظننت خاطئاً أيها الأخ العزيز، بل إماماً بسلوك تلك الدول الأعجمية وبسلوكها المعادي للأمة العربية عبر التاريخ، وحقائق اليوم لأكبر دليل على ذلك. فأنا، وبلا فخر، رجل علمي، أعتمد العلم ومنطقه في التحليل، لذا فلسْتُ من يثقُ بكل رواية إخبارية أو نقلة تاريخية،

وأعلم أن تلك العلوم الإنسانية يُلعب بها بالهوى والمواقف الذاتية ووعاظ السلاطين. فكل مؤرخ له ظروفه، وعلاقاته، وهواه، وكرهه، ومحبه، فلا عقلٌ يحكم تلك السلوكيات إلا ما ندر، وعلمنا أن نفتش عن هذا النادر، إن كان موجودًا حقًا.

وتأسيسًا على تلك المقدمة، وتقديرًا لاهتمامك، أخي العزيز الوزير، سأحاول محاورتك حول النقاط التي تثيرها دائمًا، وكأني أراك إيرانيًا!! أكثر من الإيراني نفسه. وهذا حقك كإنسان، ولكني لا أراه حقًا لك كعربي، مع الاعتذار، لأن العروبة ملك الجميع وهويتهم.

1- الحركات الشعبية ودورها في تشويه تاريخ الأمة العربية الإسلامية
(عربية بقيادتها علاوة على فكرها وثقافتها):

لا شك أن التاريخ، على لسان مؤرخين يُعدّون - بالمعيار النسبي - ثقات، يُبين لنا تلك الحركات الشعبية التي مارست دورًا في التخريب وتشويه تاريخ الأمة العربية وقياداتها العربية. وكما حضرتك تثق بمؤرخين، أنا أرى في قول هؤلاء منطوقًا. فالمسألة هنا تخضع لوجهات نظر ربما تختلف، ولكن إحصائيًا يمكن اعتماد حقيقة أن تلك الحركات كانت معادية للأمة من منطلق شعوبي، ولا ننسى دور البرامكة وما جرى لهم. ولك ما ترى، عزيزي الوزير.

2- قضية العطاءات:

مع أنني لا أُقرُّ أي تفاضل بين المؤمنين إلا بتقوى الله، لكنني أعرف، كما

ينص القرآن على ذلك، أن هناك أفضلية للمهاجرين ولمن أسلموا قبل الفتح (فتح مكة)، ولكن الحسنی للجميع آية قرآنية صريحة. ربما تلك استُغلت من قبل من لم يدخل الإيمان في قلوبهم، بل أسلموا. فهؤلاء وجدوا نصًا قرآنيًا يساعدهم على ما يفعلون هنا. فعلينا أن نوضح الأمور للأمانة، كما يتطلب الأمر تلك الأمانة. فالأفضلية وُجد لها نص يبررها، أما “إن أكرمكم عند الله أتقاكم” وليس “أفضلكم”، إنما وردت في آية أخرى لها منطقتها، وهو أن الله خلقنا شعوبًا وقبائل لتعارف لا لتتفاخر، فأكرمنا من اتقى الله من أي شعب أو قبيلة هو.

3- الأعاجم هم كل أمة غير عربية، أي يعجمون اللغة العربية، وليس وصفًا للإهانة، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

نعم، هناك دعاة ثقافة محسوبون على الأمة يدعون إلى استعمال الحرف اللاتيني لتبريات واهية، فهم في سلوكهم هذا تجدهم من أصول شعوبية (ينتمون لأصول أعجمية أو انتماءات دينية متطرفة صليبية).

4- أما قصة الصحابي الجليل سلمان باك الفارسي:

فكما تعلم حضرتك، إنه فارسي مسيحي، فهو لكونه مسيحيًا مؤمنًا أسلم لأنه يحمل خيرًا إنجيليًا بأن رسولًا باسم أحمد سيُبعث من مكة بعد المسيح، فهو مُهيأ للإيمان، وليس مجوسيًا أو زرادشتيًا أو مانويًا. فهو كغيره ممن آمن صدقًا.

5- أما العلماء من أصول أعجمية،

فهم وُلدوا ونشأوا في حضن ثقافة عربية إسلامية اعتمدت العلم والتفكر والتعقل، ومن يظن خلاف ذلك فهو للقرآن يجهل. وكان ذلك بعد قرن ونيف، بل بعضهم بعد أجيال. ولا ضير في ذلك، فتلك سنة الحياة، فحضرتك قد تُبدع في أمريكا، وما كنت إلا متعلماً عادياً في اليمن، فالبينة وتطورها له أثر كبير في إبداع الإنسان. تلك حقيقة علمية، لا عنصرية فيها.

- إسلام الفرس

حقيقة، أنا أعجب أن أسمع من الأخ العزيز الوزير ما يؤدي للعجب، وكأن حضرتك لم تكن حاضراً أحداث الأمة منذ 1952 وحتى يومنا هذا، أو حضرتك يُنكر على التاريخ «ذي قار» قبل الإسلام و«القادسية» بعد الإسلام. ولا تدري أن الفرس كانوا يستعمرون العراق، وأن الروم كانوا يستعمرون الشام (سوريا وفلسطين ولبنان والأردن). ولنؤجل أحداث القرن العشرين وما تلا ذلك، ونركّز على «ذي قار» و«القادسية».

هل يعلم الأخ الكريم الوزير لماذا وقعت معركة «ذي قار»؟ أم هي تاريخ مزيف؟ وهل يعلم العزيز الوزير أسباب وقوع معركة القادسية ومعارك تلت، ومنها نهاوند؟ أم كاتب تاريخها يحمل كراهية للفرس وكسرى ورستم؟ ثم هل يعرف سكان العراق والشام وقتها؟ ومن هم المناذرة وشييان وتغلب وإياد والغساسنة في الشام؟ ولماذا حارب الغساسنة المسيحيون بجانب العرب المسلمين ضد المستعمر البيزنطي المسيحي؟

أخي الكريم، تلك حقائق تاريخية لا يختلف عليها اثنان، إلا من في قلبه

مرض، وحاشاك أن تكون كذلك، أيها الهاشمي الكريم.
نعم، أُجبر الفرس على الإسلام، ولا تنسَ جواب كسرى على رسالة
الرسول الكريم له مستهزئاً بأعراب أكلة الجردان.
أتلك هي العنصرية، أم الدفاع عن العروبة من سلوك عنصري بدا - مع
الأسف - على الصحابي سلمان، فنبهه الرسول؟
أما القول "سلمان منا أهل البيت"، فمعناه أنه على طريقنا ومنهج عملنا،
وليس أصبح من سلالة أهل البيت.
فليس لدينا تحامل أو كراهية لأحد، ولأي إنسان حين يكون إنساناً يحترم
الآخر ولا يعتدي عليه بغير حق.
نعم، بدأ الفرس التخريب بين صفوف المسلمين منذ لحظة انكسارهم
وإجبارهم على الإسلام، فكان اغتيال الفاروق بخسة ونذالة.
وهذا القاتل، بغض النظر عن أين دُفن، فهو له مقام في إيران، وتلك
معلومة مؤكدة، ليست مفترىً عليها، وبإمكانك التأكد منها إن كنت تشك
في ذلك، ومن العراقيين من زاره وتحدث عنه، ومقامه منشور.
أما دور إيران في العصر الحديث، فيبدأ من استعمار الأحواز العربية بدعم
إنجليزي منذ عام 1926م، ثم تدخلاتها في العراق منذ زمن الشاه بعد عام
1958م (ثورة العراق). ومصدق رجل وطني، منطلقاته تحررية ضد الشاه
وعلاقاته مع الغرب، فعبد الناصر رحمه الله كان يؤيد حركات التحرر في
العالم، كما هو موقف القوميين العرب بمختلف فئاتهم الحزبية.

بل في العراق، قبل العدوان واحتلال العراق، كان "مجاهدو خلق" في العراق دعمًا لحركتهم التحررية، وهذا دليل على عدم عنصرية حركة القومية العربية أساسًا.

أما إيران بعد خميني، فهي امتداد للإمبراطورية الفارسية باسم المذهبية الطائفية، تلك المذهبية المُفترى عليها، على فقه آل البيت، والتي بدأت تتجسّد في زمن البويهيين الفرس قبل إسماعيل الصفوي بقرون، الذين ابتدعوا فكرة المهدي المنتظر بعد وفاة الحسن العسكري الذي لم يعقب.

وكما قلت مرارًا، فإن خميني أتت به المخابرات الأمريكية والغربية لأسباب أوضحها بريجنسكي، سكرتير الأمن القومي الأمريكي عام 1977م، بعد نجاح الحركات الدينية في طرد السوفييت ونظام نجيب الله الشيوعي من أفغانستان. وفكرة بريجنسكي: إحاطة السوفييت بدول دينية متطرفة، وهكذا انتهى وقت الشاه وجاء وقت خميني.

واليوم، تسريبات كثيرة تؤكد قولنا هذا، ربما اطلع عليها الأخ الوزير، فلا داعي لإنكار ما حدث عمليًا. فالنظام الإيراني اليوم هو أداة أمريكية غربية، ومن ورائها الصهيونية، لتخريب الوطن العربي وبثّ الحرب الطائفية بين شعبه، وما يجري اليوم دليل واضح لأي نظرة محايدة تروم الحقيقة كما تظهرها أحداث اليوم.

والآية الكريمة في بداية الحوار هي للتذكير بعدوان نظام إيران على العراق في 4/9/1980م، واستمر ثمانين سنوات بتعنّت إيراني كان يهدف إلى احتلال

العراق، هدف طرحه خميني وأبو الحسن بني صدر أول شهر ظهر فيه نظام الملالي في طهران.

وهناك بعض دعاة الثقافة والسياسة، ممن يُحسبون عربًا، يزعمون اعتداءً عراقيًا على ثورة إيران، والحقيقة أن الرد العراقي في 22/9/1980م كان لمدة أسبوع، وطلب العراق التفاوض لحل مشاكل حدودية بين العراق وإيران وُضعت لها اتفاقية الجزائر حلولا، لكن الخميني رفضها معلنا توجهه لاحتلال العراق بدعم عملاء له طائفيا في العراق.

تلك حقائق عشناها ولم نقرأها من كتب التاريخ. وهكذا استمر العدوان، رغم قرار مجلس الأمن بإيقاف الحرب، حتى أرغم (الخميني) منهزمًا بعد سبع سنين على القبول بالقرار.

تلك هي حكومة إيران وسياساتها، تتخذ من الطائفية وسيلة للتوسع الفارسي، ورجالها يعلنون ذلك بلا خجل.

أما طرد سفارة الكيان الصهيوني وتسليم المقر للسلطة الفلسطينية، فتلك خطوة تبررها أهداف النظام الإيراني اللاحقة، فالיום هذا النظام تنتعش فيه الكنائس اليهودية في طهران، وتُحجب على إخوانهم المسلمين من مذاهب أخرى المساجد. فإيران نظامًا وبعض النخب لا يخفون أطماعهم في الوطن العربي، والعمالة، أخي الوزير، هي أن تؤدي عملاً لأجنبي يضر بوطنك ومصالحه، والأجنبي قوميًا، وإن كان من دينك أو دين آخر.

فالسوريون جزء من أمة تنتمي لها جميع الأقطار العربية، بما فيها وطنك العزيز اليمن، وكل عربيٍّ مخلص يسعى لوحدة الأمة العربية، فخطوة سورية نحو الوحدة مع مصر عمل لها السوريون والمصريون والقوميون العرب من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي. فلا عمالة بين الأشقاء، بل عمل هادف نحو نهوض الأمة من جديد لتساهم مع أمم العالم في بناء حضارة وتقدّم الإنسانية جمعاء.

ولا أظنك، وأنت المثقف، لا ترى ذلك، لكنني وجدت أنك تفكر هكذا تجاه إيران، وأنت أدري بما تفكر فيه. ولا أدري لماذا تلك التساؤلات بشأن أردوغان وخامنئي وتنياهو وبيريز؟ فتلك تساؤلات غير منطقية. فأردوغان رئيس دولة أجنبية، ليس بالضرورة أن تنسجم مصالحه مع مصالح أمتي، وكذلك خامنئي الذي يظهر عداءً للأمة العربية، ويستغل مذهبًا ساهم أجداده في وضعه في خدمة مصالح الفرس، وأعماله اليوم في العراق وسورية ولبنان واليمن واضحة بلا مؤرخ يخبرنا، وكذلك في البحرين والمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية.

ولا أدري، هل حضرتك لم تسمع تصريحات نصر الله في لبنان؟ أو تصريحات مليشيات في العراق وبلدك العزيز؟ كلها تدعو أو تعمل أو تتعاطف مع دولة إسلامية بقيادة الولي الفقيه خامنئي، إلى حين ظهور المهدي المنتظر! أليست تلك سياسات عدوانية تجعل الكثير من الناس

يتعاطفون مع أنظمة الخليج والجزيرة العربية؟ أم تريد لإيران أن تقود الوطن العربي باسم اتحاد إسلامي مبني على طائفية صفوية لا تمت لمذهب آل البيت بصلة؟ أم تحسب كل من ارتدى عمامة سوداء من آل البيت ولو كان أعجميًا؟!

ومن قال: وحدة المسلمين أولاً قبل وحدة الأمة العربية؟ وتحت أي منطق يُقرّ ذلك؟ هل نعود إلى صراع صفوي عثماني جديد ونحن لهما مقسمون باسم المذهبية اتباعاً؟ أي منطق عقلي علمي يُقرّ ذلك، أخي الكريم الوزير؟ أما مسألة فلسطين، فمن ينساها متعاوناً مع عدو الأمة، فهو لا قيمة له عندنا ولا احترام، وإن ادعى البعض ظروفًا سياسية ودبلوماسية تفرض عليه تصرفه. وحماس وفتح عندي هما نسخة من واقع عربيّ مريض، يسهل على أي مغرض أن يدخله مدّعياً ما يدّعيه كذباً أو كسباً سياسياً رخيصاً.

أعود للآية الكريمة أعلاه: كنت في لندن لزيارة جامعة مفتوحة، برنامجها التعليم عن بُعد، للاطلاع على منهجها وأسلوب عملها لنستفيد في إنشاء جامعة مثلها لدول مجلس التعاون للخليج العربي، عام 1985م، فكان يوم أحد، فزرت الهايد بارك القريب من إقامتي، فوجدت منصة يعتليها إيراني وهو يخطب دعمًا لإيران وإدانة للعراق، وحوله جمهور من مختلف الجنسيات، وكان معي أخ جزائري تعرّفت عليه في البارك.

فرفعت إصبعي وقرأت الآية الكريمة أعلاه، فتيقّظ المسلمون الواقفون وهم ينادونه: لماذا لا تقبلون بالآية الكريمة أعلاه وهو قول رب العالمين؟ فأجابهم

أن النظام في العراق ليس إسلاميًا كما يقول إمامنا الخميني، فهم ليسوا بمؤمنين!! تلك هي عقلية الإيراني المنشد للنظام الطائفي الحالي، فكيف نقبل قولاً يعكس حقائق الأمور وعنها يُدافع؟ لا أظن الأخ العزيز الوزير يقبل أن يُنكر ذلك، فليس لدينا كراهية، بل حقائق واقعية.

وليس في ذلك شطّاحان فكريّ أو إصرار على شيء لا واقعية له، بل واقع إيرانيّ عدوانيّ على الأمة، رجاله يدّعون حقًا في العراق والبحرين والجزيرة العربية وسورية ولبنان والخليج العربي، الذين يصرونّ أنه فارسيّ وهو ضمن أرض عربية بلا شك.

أما ما يجري اليوم في العراق وسورية ولبنان واليمن، فلا أظنه غامضًا لكل مفكر أجنبي، فكيف إذا كان عربيًا:

العراق: بعيدًا عن الأسباب التي تحتاج إلى مجلد لتبيانها، هو عملية سياسية احتلالية أوجدها احتلال غاشم دون مبررات دولية، بتعاون حكام عرب عملاء لأهداف المعتدي، علاوة على أخطاء ارتكبتها قيادة العراق بدون وعي أو حكمة. فهو اليوم ضحية عدوان غاشم وتدخل إيراني طائفي فاضح، من خلال حكومة طائفية وميليشيات إيرانية الهوى والدعم، بلغ عددها الأربعين، مع مجموعة عملاء من مذاهب وإثنيات أخرى تجمعهم أحقاد ولصوصية. وهم والأمريكان أسباب ظهور داعش المتخلف إسلاميًا. سورية: ضحية نظام يدّعي العروبة وهو طائفي، أساء التصرف ولم يخلص

للأمة حقًا، يدّعي المقاومة وهو لم يقاوم غير رغبات الشعب في الحرية والمشاركة في إدارة الوطن. تلعب في سورية اليوم كل فئات التطيف، ولعب الغرب ويلعب في تلك الحالة مع إيران وحزب الله، ولهم دور في تخريب سورية، ثم تدخل دولي روسي تركي أمريكي علاوة على الإيراني، فتلك صورة من صور التدخل الأجنبي في وطنٍ يُستغل فيه حكم مستبد ونزعات طائفية وإثنية. النظام السوري منذ زمن الأسد الكبير لم يكن نظام مقاومة، رأيت القنيطرة مدمرة، وعلى حدودها جنود العدو الصهيوني، ولم يُطلق الأسد طلقة واحدة، كان يستغل دعاية المقاومة لابتزاز الخليج ماديًا.

لبنان: كل مثقف عربي يعرف أن لبنان قسّمه المحتل الفرنسي إلى طوائف وتركه هكذا، ثم اليوم تلعب فيه إيران دورًا خبيثًا من خلال عميلها بالتبعية “حزب الله” الذي يمثل دولة داخل دولة، ويعلن أنه يعمل في خدمة الولي الفقيه، وليس لديه برنامج لبناني لدولة لبنانية. وهو اليوم أحد أدوات التدخل الإيراني في سورية والعراق واليمن. هل هذا يُظهر أنه مع إيران وبشار يمثلون مقاومة ممانعة؟ وضد من؟ غير ضد الأمة العربية؟!

اليمن: تلك قصة من قصص التاريخ، اسمها اليمن السعيد، وواقعها لا ترى فيه سعادة إلا للأجنبي حين يسبح في طبيعة أرضها وجبالها وتضاريسها. حاول ناصر، رحمه الله، العمل على تخليصها من واقع حجريٍّ من خلال ثورة عسكرية لعسكري تخرج من العراق، هو السلال، رحمه الله، لكن الرجعية اليمنية والسعودية جابهت الثورة، لكن ناصر لم يترك دعم الثورة،

فدُبرّت له حرب 5 حزيران 1967م بتآمر صهيوني-أمريكي (بشهادة كاتب يهودي، ابن جنرال عسكري شارك في تلك الحرب)، فحدثت النكسة وسحب جيشه من اليمن. لكن بقيت ثورة اليمن تنتقل بين عسكري وعسكري، حتى صُفّيت بيد المقدم علي عبد الله صالح، وحسيناه صالحًا، لا سيما بعد توحيد اليمن في بداية التسعينات، لكنه لم يطوّر حكمه نحو الأمام، فبقي أسير سلطة ونفوذ قبلي، فحدث ما حدث من ربيع بلا رائحة، واليوم هو مسرح لأعمال عسكرية بسبب ما فعله الحوثيون، وبدعم إيرانيّ واضح، ودول الخليج وآل سعود تحت تهديد إيران وعملائها في بلادهم، لا بد أن يدافعوا عن بلادهم من شرّ إيرانيّ طائفيّ واضح علنًا.

وأنا حزين على يمن حضاري، رأيت رئيس جامعة فيه يقتات القات ويدعوني إليه!! وشعب يجلس في شوارع عدن ومعه قات وبطل ماء. تلك صور لوطن عربي من أوطان الحضارات في العالم، وفيه تنازع طائفيّ بين طوائف، أفضلها متخلف.

هل تلك صورة مرضية لكل عربيّ حر؟ الجواب: كلا. لكن إن تمكّنت إيران وعملاؤها منا كعرب، فلا مجال للمقارنة بين عرب يحكمون أوطانهم أو فرس يتحكمون بها.

الخلاصة مع سبل للخلاص

مما تقدم من تعقيبات للأخ الكريم الوزير ولنا يمكن أن يُستخلص الآتي:

1- إن السيد الكريم زيد الوزير يظهر من الوثائقين بإيران سياسة وسلوكًا وعملاً إسلاميًا.

2- يثق بما يزعمه حزب الله ويعدّه مقاومًا ولا ما يشوب سلوكه وعمله من تخريب في خدمة إيران، بل يعدّه فاعلاً على طريق اتحاد إسلامي بقيادة إيران.

3- لا يرى أي مشكلة في تدخلات إيران في الشأن العربي في أي قطر من الأقطار.

4- لكنه يشكو من تدخل السعودية ودول الخليج العربي في اليمن، فإذا قُتل في اليمن أو مدرسة جريمة، لكن قتل أطفال سورية والعراق على يد ميليشيات إيرانية أو قوات إيرانية، فالعملية تحرير نحو اتحاد إسلامي بزعامة إيران.

5- إن الفرس أمة حضارية لا تضرر عداء لأحد، ومن يقول ذلك مغرض أو يعيش شطحاناً فكرياً، والعياذ بالله.

6- وأن أي عربي يعمل للقضية العربية يلتقي مع بلد عربي آخر، ربما يُعدّ عمالة بحسب التعريف السائد.

وتلك ولا شك منتهى التجني على حقائق التاريخ سابقاً ولاحقاً، بل ويسوّف ما يجري اليوم من عمل عدواني طائفي إيراني على أقطار الأمة العربية: العراق وسورية ولبنان واليمن والبحرين وشرق الجزيرة العربية.

وإن تعقيبي هذا وما سبق من تعقيبات هو تبيان حقيقة أن الأخ الكريم

الوزير يعيش وهمًا أو يؤمن بأوهام، تجسّد له إيران قوة إسلامية تحريرية تريد إنقاذ الإسلام والمسلمين، وأنها في طريقها لتحرير فلسطين، باتباع افتراءات وخرافات وأساطير سمّتها مذهب آل البيت، بل جعلت من رجال آل البيت الكرام المعروفين شركاء لله في إدارة الكون ويشفعون لمن يشاؤون، عكس ما بيّنه الله تعالى في قرآنه الكريم. فأَي تخلف يدعونا الفرس إليه، ونحن في القرن الحادي والعشرين؟ وأي كرامة يُننون عليها الإنسان من خلال لطم وتكبير وضرب بالزنابير، والزحف على الركب أمام أضرحة أشرف ما عملوا ذلك يومًا تجاه موتاهم؟

إنه غياب الوعي عند بعض العرب الذين تشيّعوا صفويًا أو بويهيًا وصدقوا ما يقولون.

عليه، أدعو أخي الكريم العزيز الأستاذ زيد الوزير ومن يرى ما يراه تجاه إيران وأتباعها في الوطن العربي، ولا سيما في العراق وسورية ولبنان واليمن، إلى وقفة تأمل عميق في أحداث ما يجري اليوم إن لم يُصدّق بما مضى، ويفكر بما تفعله إيران، وما تفعله بحق العرب الشيعة في الأحواز العربية، ثم عندها يقوموا بدور إيران وأتباعها: أهُم على طريق المقاومة أم على طريق العدوان على أمة العرب؟

وعليه، أدعو كل عربي يحسب أنه للأمة العربية يسعى خيرًا أن:

1- يعي حقيقة دور إيران اليوم في بث سموم الطائفية بين أبناء الأمة

العربية، بهدف رغبتها التوسعية المعلنة بوضوح.

- 2- شجب عمل حزب الله داخل لبنان وخارجه، ويدين تبعيته للولي الفقيه الإيراني علناً، وأن تُسحب منه الأسلحة الإيرانية ليكون حزباً مدنياً لبنانياً حراً.
- 3- شجب عمل الميليشيات الإيرانية ولواءً وتكويناً في العراق كما تُشجب داعش وأعمالها ومن أوجدها.
- 4- شجب تدخلات إيران وميليشياتها في العراق، وسورية، ولبنان، واليمن.
- 5- شجب أي تدخل أمريكي، أو غربي، أو إيراني، أو تركي في العراق وسورية، وليبيا، واليمن، وليبيا.
- 6- تجمع الحركات الوطنية التقدمية والقومية في جبهة موحدة تراعي جميع ما مر من نقاط، والعمل في هديها.
- 7- إيهام إيران أن التدخل في شؤون أي قطر عربي ولأي سبب خط أحمر، وتُحترم ضمن حدودها كدولة إقليمية تساهم في استقرار المنطقة.
- 8- أيضاً عليها أن تفهم أن القضية الفلسطينية عربية، لا يُسمح لها باتخاذها وسيلة لمزايدات سياسية هدفها مغرض.
- 8- يُنذر الحكام العرب من الإساءة للقضية الفلسطينية بإقامة أي علاقة مع الكيان الصهيوني ورجالاته لأي سبب كان.
- 9- الطلب من الجامعة العربية أن تلعب دوراً جاداً في حل مشاكل الأمة العربية ولا تقبل بأي تدخل دولي أو إقليمي في شؤون الأمة العربية.
- وتلك نقاط عمل لأي جهد مخلص نقترحها، والله من وراء القصد.

تحياتي لكل عربي شعر ويشعر بمسؤولية تجاه الأمة، ولم يصمت عما
يجري اليوم، وأما ما جرى تاريخيًا فلنتركه للتاريخ معتبرين بما جرى لا
مكررين له.

إ.د. علي عطية عبد الله الرفاعي

أستاذ متمرس / جامعة بغداد

والمدير العام الأسبق والمؤسس للهيئة العربية للطاقة الذرية

اعتذاري عن عدم الرد السريع وجوابه

فكتبت له معذرا عن أن ردي عليه سيتأخر بسبب ظروف سعيدة، وأخرى

شقية:

سيدي الدكتور

وسلام عليك وسلام لك

أ عذرني لأنني لن أتمكن من الجواب عليك إلا في الأسبوع القادم، بسبب انشغالي في إظهار منتدى اليمينيات المنبثق من مركز التراث والبحوث اليمني يوم الخميس القادم وما يتبع ذلك من شغلة بال، وتراكم اعمال.

أسأل الله أن نكون- أنت وأنا- ممن قال فيهم الشاعر:

وما من كاتب إلا سيفنى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء * يسرك في القيامة أن تراه

ولا نكون ممن قال فيهم الشاعر العلامة أبو الفتح البستي:

إذا أحسست في لفظي فتوراً * وعلمي والبلاغة والبيان

فلا ترتب بفهمي إن رقصي * على مقدار ايقاع الزمان

وأرجو منه تعالي ألا يجعلنا نساير هذا التيار أو ذاك، ولا هذا المذهب أو

ذاك، لأن حقولنا علمية لا سياسية، ولا مذهبية، ولا فقه علماء سلطنة، وأن

يجعلنا نهتف بآيات الحق وبينات الحقيقة، ولا نرقص على ايقاع سياسي

موقت، ولا على ضجيج طبول تمذهب منغل على وبائه.

وإلى اللقاء في الأسبوع القادم.

درأبو الليث الرفاعي

فكان رده الكريم
شكرا لك أخي الكريم وأنا من باليمن السعيد سعيد قد بينت لحضرتكم
موقفاً عربياً به أنا مؤمن
والإسلام للعروبة عمق فكري وحكمة له هي مدينة
ولكنه عليها ما نكروا ينكر أنها له وعاء مكين
بغير ما يبينه القرآن وأفهمه لا أؤمن ولا لمذهبية
أدين، فالمذاهب للبعض اجتهاد وقته ظنين
وما كان للعلوم وقتها في فهم الطبيعة دور يذكر
بل حدس واجتهاد وللهمى ميل يشجعه سلطان
ولست أنا من يحكم رأيه تحزب ولا انغلاق
فكر ضيق، بل بحق وحدة الأمة لا تخالجنى ظنون.
وما كان حق الأمة بوحدها للحزبية ملك
بل يدعمها تاريخ وحضارة وجغرافية ووطن
وما بينته من دور خبيث للفرس لم أصطنعه
فالتاريخ ووقائع اليوم لما أقول يدرك ويحسن

هذا يابن العروبة هو من أنا وبأ أمّتي أوّمن
فلا حزية تحكم فكري ولا عنصرية بل حقّ يُصان
ففي تعقيباتي أبنت كلّ ذلك بتفصيل ووضوح
تلك هي قضية العرب اليوم أما مؤمن بها أولا يؤمن
فالحق بين الباطل أبيض وتكرار الكلام مُمل
وعلى ما يحتضنه الباطل يصبر الحقّ عنده مظلّم
تحياتي وتمنّياتي لكم بنجاح مهاكم من أجل يمن عربي حر ذي سيادة.
ابوليث علي الرفاعي.

رد الوزير علي الرفاعي

سيدي الأستاذ الدكتور:

سلامٌ لك، وسكينةٌ تنزّل عليك. سأبدأ من حيث توقّفتُ عن الجواب عليك بسبب انشغالي بافتتاح منتدى اليمنيات، كما قلتُ لك، وقد كان الافتتاح ناجحًا، والحمد لله، ثم تبعته الفاجعة الكبرى بقصف قاعة المعزين بأيدي عربية!! فحصلت معظم مَنْ ذهب للعزاء في شيخٍ مسنٍّ، لم يحمل رمحًا، وفي لحظةٍ عينٍ أصبح المعزون فحماً محترقاً يُعزى فيهم.

جذور التطرف السياسي والديني

ومع هذا الهمّ الفاجع، فإن مسؤولية البحث عن هذه الفجيعة تجد سبيلها إلى ضرورة الكشف عن جذورها الكامنة منذ مجزرة كربلاء وحتى اليوم، وما هذه الفاجعة إلا امتداد لتلك وأمثالها؛ كضرب الكعبة بالمنجنيق، واستباحة المدينة، ومذبحة فخٍّ إلى آخره. وحسب يقيني فإن عدم دراسة تلك الفجائع دراسةً تاريخيةً خالصةً للتاريخ، قائمةً على الموضوعية، مبرأةً من التبرير السياسي، والعدوانية المذهبية، لواجبٍ ديني وإنساني. وأنا على ثقة أن الفقه السياسي قد غطّى بكثافةٍ على حقائق التاريخ، وبسّها تفسيراتٍ تبريريةً دينية. ولولا ذاك لما استمرت الفجائع تنمو في حقول الشر هذا النمو الواسع، ولما

كانت المجازر المتوالية النمو.

ألم يبرّر الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي (543هـ/1148م) -كما يصفه الإمام الذهبي (ت 748هـ / 1374م)- ليزيد قتل الحسين، فيقول: "لقد قُتل الحسين بسيف جده"؟ فأَي تبرير أبلغ قسوةً وتضليلاً، ودعمًا للظلم من هذه المقولة الشرسة! ومن المؤكد عندي أنه لو عُرّيت وقائع التاريخ من نقائصها، لما ظلت تتنامى حتى وصلت إلى هذا العصر الذي بدأ مبشراً بالنهضة على يد موقظ الشرق جمال الدين الأفغاني وتلاميذه، منتهياً بالبيات في كهف التعصب والانغلاق. وفي الفترة الأخيرة ارتفعت نغمة التظلم والتعتيم حدّاً فاجعاً، فسادت قراءة التاريخ روحَ ظلامية، تمكّن فيها فقه السياسة والمتمذهبون من تغطية الحقائق ومحاولة حجبها، حتى تم إخراجها من دراستها في مواقع تاريخها إلى مواقع الفقه السياسي. وقد حاول الأستاذ العقاد (ت 1383هـ/1964م) والدكتور طه حسين (ت 1393هـ/1973م) وغيرهما -وكلهم ينتمون إلى ما يسمى بـ"أهل السنة"- دراستها دراسةً علمية، لكن التيار الغالب على بقية الدراسات كان هو الفقه السياسي، والفقه المذهبي. ألم تتحول ذكرى كربلاء إلى مظاهرات مثيرة وحزينة عند محبيه، وتبريراتٍ ليزيدٍ عند محبّي قاتل الحسين؟! ولهذا فأنا أدعو إلى التنقيب في التاريخ؛ بغية ألا تظل الأخطاء تقود إلى استمرار الفجائع. وما لم نفعل وبجرأة، فنحن يا سيدي سنظل حداةً في موكب الطغاة.

لنعترف: لا معصوم إلا الله ورسوله فيما يبلغ عن ربه، وما كان رأياً منه

فكان يخطئ، لكنه لا يُقَرُّ عليه، فينزل الوحي مصححاً أو معاتباً. فما بالنا نجعل أمراء المؤمنين الراشدين مقدَّسين، بل نجعل بعض الملوك الطغاة تَلَوَّتْهُمْ القداسة، حتى شهد لملكٍ خليع أربعون عالماً بأن ليس عليهم حسابٌ ولا عقاب، كما رواه الحافظ السيوطي شيخ أهل السنة رحمه الله. فأسأل الله أن نكون- أنت وأنا- ممن لا يبرر ظلمًا منكرًا.

وأكرر هنا ما سبق أن ختمت به رسالتي الاعتذارية عن تأخري في الجواب عليك. وأشكرك على جوابك الكريم وقبولك العذر، وعلى قصيدتك المثورة أو منشورك الشعري، وما حملت عليها من رؤيتك.

من قواعد الحوار

أريد قبل أن أدخل معك في حوار أن أعرض عليك شيئاً قد يفيدنا، ويسهل الوصول إلى ردم الهوة بيننا، إن كنا طلاب حق، لا طلاب عناد، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها. وهذا الذي أعرضه عليك هو: أن ما اتفقنا عليه، لا نعود إليه، لأن المتفق عليه لا يحتاج إلى نقاش. فنحن مثلاً متفقون على أن العرب هم أول من حمل الثقافة القرآنية، لكنهم قعدوا بعد قليل عن حملها. فما السبب؟ هذا ما يجب أن نتحدث عنه بصدق وتجرُّد.

ونحن متفقون على أن تاريخنا ملغمٌ بأباطيل، وهذا ما يجب أن نستكشفه بمودة، لا بقصد دفاعٍ مسبق، وتبرئةٍ مشوبةٍ بالتعصب، وإدانةٍ مقصودةٍ بغير حكم، وإنما بقصد معرفة ما حدث معرفةً نقيّةً من كل هوى؛ حتى نتجنب

ما حدث، وما سيحدث.

ولا خلاف بيني وبينك حول ما قلته عن نفسك: «نشأت عربيًا إسلاميًا ولا زلتُ على طريقي هذا محافظًا وبه متمسكًا، لكنني وعيْتُ على حال أمة عربية، اعتقد أنها من خلال ابنها الأمين محمد ابن عبد الله، اختارها الله لحمل آخر رسالة لدين الله على الأرض، وجعل من لغتها وحكمتها وعاءًا للإسلام فكرًا وبلاغةً وفصاحة. ثم كَلَّفَهَا بحمل تلك الرسالة الشريفة للعالم أجمع. ولم تكن هذه الرسالة سهلة الاستيعاب عند عتاة قريش، فهي تحدُّ من جبروتهم ومصلحتهم، وتلك طبيعة بشرية، الله سبحانه أعلم بها منا جميعًا. وأنزل العديد من الآيات بشأنها. وهذا قولٌ حقٌّ لا افتخار فيه على أحد، بل مسؤولية إنسانية، لذا كان لبلال الحبشي وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي دورهم في بداية الدعوة الإسلامية. والعروبة الإسلامية لا تفرق بين أصول البشر، ففي الجزيرة العربية واليمن كان بين العرب: اليهودي دينيًا والمسيحي دينيًا ومن لا دين له. لكن كما هو حال الأمم قبل الإسلام، هناك رقٌّ وممارسات بشرية لا تليق بإنسانية الإنسان. ورغم أن الله نهى عنها عبر رسالاته منذ نوح وهود وشمود وشعيب وموسى وعيسى قبل محمد، صلى الله عليهم جميعًا، إلا أنها استمرت. والله تعالى وصف الإنسان وهو خالقه وصفًا دقيقًا بأنه هلوغٌ وجزوع، ولا أظن هناك من يصفه خلافًا لذلك. فالإسلام إن صح التعبير مجازًا ثورةً فكريةً عميقة، ليس من السهل أن كل إنسان يستوعبها بعمق، خلال ربع قرن، وأمامنا اليوم كثير من الأمثلة على ذلك».

إذن فنحن متفقان على بعض القضايا بشكل عام؛ لكن وراء عموميتها تفاصيل يستوجب نقاشها، وربما نقاش ساخن. وفي التفاصيل قد تَمَكَّن فخاخ الخلاف ما لم نكن على علم بها. إن السبل المؤدية إليها لهي سبل مختلفة. فليكن الحوار إذن من أجل الوصول إلى الحقائق مرةً كانت أو حلوةً. والآن حان الوقت للدخول إلى حوار من أجل قضية أمة إسلامية كما سميتها أنت، وأضيف أنا عليها: ذات باقات متعددة:

بدأت حديثك بآية مهمة في حوارنا هذا، وأن الآية الكريمة التي افتتحت بها جوابك الأخير تحدثت عن قتال الفئة الباغية، فما هو البغي؟ لتتفق على تعريفه؛ ليسهل علينا معرفة كبر حجمه وخطورة فعله. وباختصار شديد أقول: إن البغي هو مقاومة إرادة الأمة في اختيار نظامها المبني على: الشورى في الأمر، والعدل في المال، والمساواة في الحقوق، فمن خرج على هذا فهو باغٍ. فمعاوية خرج على إمام شرعي منتخب، طبق العدل الاجتماعي كما لم يطبقه أحد قبله ولا بعده، ثم هو الإمام الذي يجمع الناس عليه سنة وشيعة. وقد بغى عليه معاوية ولم يتب، كما تاب كل من عائشة والزبير وطلحة رحمهم الله. بل استمر في عدائه له حتى بعد استشهاده عليه السلام، فكان يأمر بلعنه على المنابر، ويشوه صورته في المساجد، وتبعه الأمويون حتى أسقط هذه العادة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز. ثم إنه -أي معاوية- تتبع أنصار الإمام فضايقهم في أرزاقهم، وأودع السجون طائفةً منهم، وذبح طائفةً أخرى بدون محاكمة، بل بمجرد أمر زياد ابن أبيه- المفوض من قبل

معاوية بارتكاب هذه الفظائع. وكان أول شهيد يقتل صبرًا بحضور معاوية هو حبر بن عدي.

هذه التصرفات يا سيدي دليل واضح على أن البغي لم يكن على علي وحده، وإنما كان على المنهج الراشدي تمامًا. وقد قال نبي الإسلام: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية».

ولو افترضنا جدلاً أن معاوية لم يبلغ المنهج الراشدي، وسار في طريق راشد، لربما وجد نعته بـ"باغ مجتهد" قبولاً. ومن هنا يجب دراسة هذه المعضلة الكبرى دراسةً علميةً؛ لِيُتَجَنَّبَ تكرارها ولتُنقَطَعَ ذريتها. إذ من الثابت أننا لو طبقنا مواصفات علماء السلطة، فقد أُبيح كل بغي، لكن الملفت للنظر أنهم قد أوجبوا الطاعة المطلقة للحاكم والخروج عليه، لكنهم لم يسموا خروج العباسيين على مروان بن محمد -آخر خليفة أموي- بغياً ولا خروج أية دولة كبرى على دولة أخرى، وإلا لأدانوا أنفسهم لأنهم مشرّعوا تسلط الحاكم. ويتضح من هذا أن الخروج على المنهج الراشد، عندهم خروج باغ مجتهد له أجر على خطئه، وعندهم أن نجاحه هو البراءة من كل بغي. فلم يسموا -كما أشرنا- خروج العباسيين على الأمويين بغياً؛ لأنهم دولة، وهم أنفسهم مبررو قيام دولة التسلط. وللعلم فقد حافظ العباسيون مثلاً على روح الحكم الملكي الأموي ولم يغيروا فيه شيئاً، والعباسيون ومن جاء بعدهم لم يعيدوا منهج الأمة الراشد إلى ما كان عليه، بل حافظوا على منهج الباغي الملكي الفردي واستمروا فيه، فأثبتوا أنهم لمنهج الفرد واستبعاد دور

الأمة حافظون.

إن معالجة البغي لا تنحصر في مقاتلة الباغي بالسيف فقط، ولا السكوت على تلك الجريمة بحجة أن تلك أمة خلت لا تُسألون عما كانوا يفعلون، وإنما عن طريق كشفه وفضح وسائله. وفي تفسير فقهاء السلطة هذه الآية، سقط التبرير في مهاوي لا قاع لها. وواضح كل الوضوح أننا لن نسأل عن ذنوب ارتكبتها الأولون ولا نعاقب عليها، ولا نجزي بها، ولكن لنعتبر بها ونستفيد من تجاربها. ومن ثم فلا بد من دراستها وتشريحها.

وفي حالة القيام بدراسته تاريخيًا، علينا رفع الغطاء عن تبريرات الفجائع، حتى لا تتكرر؛ ليراها الناس على حقيقتها، فينبذونها ويعدلون عنها، لا كما فعل فقهاء السلطة عندما تحايلوا على هذا المصطلح بتغليفه بكلمة تغطي سوءه، وهي "الباغي المجتهد"، لا ليخلصوه من جريرة ما ارتكب فحسب، وإنما ليعطوه أجرًا وثوابًا على خطئه!! أليس للمصيب في اجتهاده أجران، وللمخطئ أجر واحد؟ وهكذا أقحموا مصطلحًا فقهيًا خاصًا على مفهوم سياسي بحث لا صلة بينهما. ومن الأسف فقد ظلت هذه التغطية على الأخطاء قائمة على قدمٍ وساق، مما ساعد على إبقاء الخطأ حيًا وقويًا. والمؤكد أن تلك التغطية قد فتحت بابًا سياسيًا للبغي لم يغلق. وإنه لمن أشد الأمور استغرابًا وإمعانًا في الاستغراب أن يُباح لمعاوية الاجتهاد في البغي السياسي، في الوقت الذي يُحرّم فيه الاجتهادات في العبادات وعلم الكلام، على العلماء!

نخلص من هذا إلى القول: إن صمت المؤرخ عن النطق بالحق يعتبر بكل المقاييس مساعدةً للباطل، ومن ثم تبقى الأوبئة السياسية مغطاةً، ويظل الجرح منطويًا على قيحه.

وفي ختام هذه الفقرة أوضح نقطتين:

- الأولى: أنني لم أضرب المثل ببغي معاوية لأدينه، وإنما جئت به مثلاً تاريخياً على ما أسس من جرائم دخلت الجسم المسلم ولم تبرحه.

- والثانية: أن على المؤرخ الثبوت أن يقرر من الناحية التاريخية إن كان ثمة وجود لهذا البغي من عدمه، فيدرسه. أما أن يوجد ثم يبرره، فقول لا منطق له، وصوت صارخ في الظلمات. ومن الواضح أن المؤرخ لا يحاسب الباغي دينياً على ما اجترحت يده، فليس عليه أن يفعل ذاك، وإنما يقرر وجود البغي من عدمه لعدم تكراره، والباقي على ربه. والمؤرخ لا يعلم بما يريد الله.

إن الفقرة التالية من رسالتك تنهى عن نبش العوائق، وتدعو إلى إبقاء الداء في مكانه. وفي هذا الصدد ذكرت أن «الإغراق في مشاكل حدثت بعد وفاة الرسول دون تفهمها وتفهم أهداف البعض بشأنها لم يفدنا اليوم بعد 1414 عاماً».

فهذا قول غير دقيق، بل إنني أذهب إلى أن الإغراق في تجاهل وقائع عهد عثمان قد ألحق ضرراً بتاريخ المسلمين، لأن دراستها قامت على أساس

مذهبي وسياسي، وأن هذا النوع من الدراسة قد احتفظ بوبائه ليستمر في بثها أحقاباً طويلاً بدون معالجتها معالجةً تاريخية. ولقد قلت سيدي أن دراستها هو للعبرة، وهذا قول حق، ولكن كيف تبرز العبارة بدون إبراز مساقها، وما ولدت من أوجاع أو فضائل؟! فلا بد إذن من طرحها عبرةً للنقاش. أما بقاؤها مغطاةً بأكفان التبريرات، فلن تستفيد منها. والقرآن قد عرض صوراً من التاريخ ليكون للناس عبرة.

ثم رحت تزيف الوقائع عن غير قصد، وبذلت جهداً في إثبات شرعية حكم معاوية ويزيد، وقلت: «وليس كل من ثار وقتها على حق، وليس كل من حكم كان مطلق العدل والاستقامة، إنما كل شيء نسبي. فجدنا الحسين غشه المنافقون من أهل الكوفة وثار على حكم بايعه أكثرية الناس، فهو- بحكم القوانين- شرعي الخ» نظام يزيد أنه نظام منتخب!

سامحني إذا قلت: إن مثل هذه القراءة تشبه إلى حد كبير قراءة من يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض. فقولك «وليس كل من ثار..» إلى «كل شيء نسبي» مقبول للنقاش، لكن بقية الجملة تحمل تضليلاً حقيقياً، أربأ بعلمك أن يسقط فيه. ودعني أناقشك فيها نقاشاً تاريخياً بحثاً، لا مذهبياً ولا سياسياً. فأني شرعية ليزيد بعد أن أُلغيت الشورى وأُلغي الانتخاب، وفُرضت السلاية؟! وأنت تعرف أن طريق الشرعية الإسلامية هي الانتخاب، وأن البيعة تكون من الأمة للإمام، وأنت تعرف أن معاوية فرض ابنه على الأمة بقوة السيف، ووفرة المال. فإذا اعتبرت خلافة يزيد شرعية، وإذا اعتبرت صحة

الخضوع للقوة القانونية، فماذا أنت فاعل في الانتخابات العربية المعاصرة المزورة والمفروضة؟ فإنها حتمًا حسب مقاييسك ستكون قانونية لا يجوز فيها الدعوة إلى بطلان النتيجة، أنها خروج على طاعة ولي الأمر! وهكذا أطحت بالشرعية بتفسير عاصف.

ثم لو كان كل الناس قد بايعوا يزيد كما زعمت، أو زعم لك، فلماذا خالفه الحسين والألوف المؤلفة من أهل الكوفة؟ وغيرهم؟! ولو كان حقًا ما قلته عن شرعيته، لكان الحسين قد عرف واجبه وأسرع بإياع يزيدًا، ولكنه لم يفعل، لا؛ لأنه رأى بحق ألا شرعية ليزيد توجب له طاعة.

أما قضية من غشه من أهل الكوفة، فقضية أخرى ليس لها صلة أو التماس بقضية الشرعية. فسواء غشه الناس أم لم يغشوه، فإن شرعية يزيد ووالده باطلة من الأساس. وما بني على باطل فهو باطل. والقول في الحسين يجري مع القول في الشهيد بن مطيع وابن حنظلة الذين خرجا على يزيد فاستشهدا في مذبحه الحرة. وإذا كان غش أهل الكوفة للحسين مبررًا لسلب حق الخروج، فإن أهل مكة والمدينة لم يغشوا عبد الله بن الزبير، ولم يغش أهل المدينة أهل المدينة. ثم أين الشرعية القانونية لمعاوية وقد نزا على الأمة بالسيف؟ ألم تسمع قول الحسن البصري (ت 110هـ/728م) كما نقل عنه الإمام الطبري: «لو لم يكن فيه إلا فعله بحجر وأصحابه، واستخلاف يزيد، وتفويض أمر الأمة إلى يزيد، وتحكّمه في أموال المسلمين، ووضعها في غير حقها، ووثوبه على الأمر، وشق عصا الأمة، وما ظهر منه من الخزي، لكان

كافيًا لإبطال إمامته وعدم صلاحيته لها!

وقد تتهم الطبري بأن أصله من سبي ميسان، وأنه نبطي، عجمي، ومن ثم فالاستشهاد بقوله لا يؤخذ به. ولكن معظم رجال المسلمين يعلنون مقداره، ويأخذون منه ويولونه ويتولونه، ولا يهتم بنسبة إلا من تمسك بالعرقية المحرمة.

إن المؤرخ الثبت لا يدين هذا وذاك بكفر وإسلام، وإنما يوصف الحالات كما وجدها، وكما هي عليه. ومن المعلوم أنني عندما أنقد معاوية فإنما أنقد أعماله، لما أنزل بالإمرة الراشدة من أضرار، وما أحاق بالحكم الإسلامي من فجائع، وليس من اختصاصي ملاحظته أين سيذهب بعد ذلك: هل إلى نار أو إلى جنة؟ فذلك من شأن الله، ولأنني لا أعلم أين ذهب، وأين توارى، ولست بمصيره عليمًا، فأنا أكتب في حدود العلم، وأكتب فقط ما أعلمه يقينًا، ولا أكتب تخريصًا وظنونًا. وإذا أنا لاحقت الموتى إلى قبورهم، ودخلت بين أكفانهم، فقد دخلت في مضارب الفقه السياسي، وصرت أوزع صكوك الغفران لمن أشاء، وأمنعها ممن أريد، وخرجت من الكتابة التاريخية نهائيًا، وأشبعت المنصور العباسي الذي نصب نفسه خليفة لله يوزع المال لمن يريد، ويمنعه ممن يريد، لأنه خليفة الله عنده مفاتيح خزان الله!!!!

والحق أنه ليس عند المؤرخ الثبت عصمة لوقائع التاريخ ولا لصانعيه، وكل بني آدم عنده إما يغلب عليهم الخطأ، أو الصواب. والمؤرخ الثبت يرى في رسول الله أسوةً، فكان يراه يخطئ ولكنه لا يُقر على خطئه، فإما يرشده

إليه أو يعاتبه عتاباً مرشداً: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: 1]. وأنا - كما أزعم لنفسي - مؤرخ أنقد الأمراء الراشدين؛ أنقد أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن وعمر بن عبد العزيز وهم من هم في الجلال والكمال، فكيف لا أنقد من هو أدنى مكانة منهم؟ وقد نقد عمر أبا بكر وعبيد الله بن الجراح ونقد نفسه؛ فلا تخرج بنا سيدي من مجال التاريخ إلى مضارب الفقه السياسي، وخيام العصبية والتعصب. فذلك وإدٍ لن أمرٍّ به أبداً.

يا سيدي نحن مؤرخون، ولسنا من يملك جنةً وناراً، فنضع هذا هنا، وذلك هناك. فشغل الآخرة ليس من أعمال المؤرخين، ولا من أعمال أحد. ولكن فقهاء السياسة تجرأوا على الله في أكثر من واقعة، فأدخلوا الجنة من شاءوا، وأدخلوا النار من شاءوا.

كما أذهب إلى أن احتكار أحكام الصواب في قراءة التاريخ لظلم عظيم، وأنا أربأ بك أن تكون من الظالمين. أن كثيرين ممن هم معجبون بذكاء معاوية وبني أمية ويحبونهم ويقدرونهم، لكنهم يعرفون أخطاءهم وجرائرهم ويسجلونها للاعتبار. ولأضرب لك مثلاً بالعلامة علي الطنطاوي، وهو الذي لا يطبق الشيعة والتشيع، ويقدر شخصية معاوية وشخصيات بني أمية، ولكنه بحسه الإيماني يوضح أخطاءهم وما جنت أيديهم، فيقول: «.. وإن لبني أمية في نشر الإسلام وفي فتح الفتوح فضلاً لا ينكره أحد، وأنه كان منهم عظماء حقاً إن عُدَّ عظماء الرجال، ولكن هل كانت دولة بني أمية دولة إسلامية؟

لقد هدم معاوية أكبر ركن في صرح الدولة الإسلامية، حين أبطل الانتخاب الصحيح، وجعله شكلاً مزيفاً، وترك الشورى، وعطل الكفريات، وسنّ هذه السنة السيئة، بل هذه الجناية التي جرت أكثر البلايا والطامات التي تملأ تاريخنا السياسي. فهل نقول لـ معاوية: أحسنت في هذا؟! بل إنني أسأل: هل يقول هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حيّاً؟ إن معاوية صحابي جليل وله مناقبه وفضائله، ولكن حكم الدين على الجميع، ومقاييس الإسلام يقاس بها كل كبير. فهل كان معاوية في عمله هذا متبعاً أحكام الإسلام؟ هذه واحدة.

وهذا الاستبداد، والحكم الفردي الذي صار عليه ملوك بني أمية، وتحكيم آرائهم وشهواتهم في مصلحة الأمة، ودماء أفرادها وأموالهم، دون تقييد بـ كتاب أو سنة، أو رجوع إلى علم أو فقه، هل هو من الإسلام؟ [هذه ثانية]. واختيارهم شر الولاة من الطغاة الظالمين وتحكيمهم في رقاب الناس، هل هو من الإسلام؟ [وهذه الثالثة].

هل يقر الإسلام تولية الحجاج - على رجولته وعظمة نفسه - وخالد القسري، وأمثالهما من الجبارين؟ [وهذه رابعة].

وإثارتهم العصابات والخلافات بين القبائل وبين الشعراء، وتمهيدهم سبيل اللهو والاستهتار لأنفسهم وللناس، ولا سيما جيران بيت الله، وأهل مدينة رسول الله؟ [وهذه خامسة].

وعدوانهم على الحريات، وعلى المقدسات، وقتلهم العلماء من أمثال

الحسين وسعيد بن جبير وأبناء سعيد بن المسيب وضربهم الكعبة بالحجارة،
وبالنار، هل هو من الإسلام؟ [وهذه سادسة].

إن هذه كلها أشياء ثابتة لم يفتريها عدو، ولم يضعها خصم. وهذه كلها
تناقض الإسلام أشد التناقض، بل إن بعضها لم تأت بمثله الجاهلية الأولى.
وما كان عليه العباسيون ومن جاء بعدهم من الطغيان والعدوان على
الأنفس والأموال والأعراض غير سبيل الهدى. كل ذلك يُسأل عنه بنو أمية،
لأن من سنّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.
وأنا أكبرُ بني أمية وأمجد آثارهم، وأرفع مقدارهم، ولكن لا أستطيع أن
أقول إن دولتهم كانت دولة إسلامية؛ لأنني أكون قد مدحتهم بدم الإسلام،
والإسلام أحب إلي، وأعز علي، من بني أمية، وبني هاشم، وأهل الأرض
جميعاً¹.

وهذا هو الميزان الحق. فإذا نحن درسنا تاريخ الإسلام وتاريخ المسلمين،
سنجد تناقضاً واضحاً بين النظرية والتطبيق. وقد وقف علي الطنطاوي - بالرغم
من كراهيته للشيعة وإعجابه الشخصي بالأمويين - مع البيومي وسيد قطب
ضد الأستاذ محمود شاكر؛ أي أنه فرق بين الإسلام وبين المسلم، وقال
كلمته الواضحة، إنه إذا مدح المسلم الظالم فقد ذمّ الإسلام: «لا أستطيع
أن أقول إن دولتهم كانت دولة إسلامية، لأنني أكون قد مدحتهم بدم الإسلام،

¹ مجلة الرسالة العدد 978.

والإسلام أحب إلي، وأعز علي من بني أمية، وبني هاشم وأهل الأرض جميعاً».

وإنه لميزان عادل. فهو لم يقل -ولا أنا أقول- إن طواغيت المسلمين غير مسلمين، فالظالم منهم يظل مسلماً، ولكنه يبقى ظالماً غشوماً، أضر بالإسلام والمسلمين والإنسان. ومن هنا يجب التفريق بين الفكرة والتطبيق. والدفاع عن الفكرة يوجب البحث عن استخراج عيوب التطبيق. وهذا مع كل أسف لم يتفهمه دكتورنا، أو لا يحب أن يترك ما قد استوطن فيه، وحل عنده، ولو أن ما حلّ به كان مرضاً.

ثم تأتي يا سيدي بعد هذا الوضوح كله، فتقول عن نظام يزيد أنه نظام منتخب! ودعواك هذا لا يقول به استاذ مبتدئ، فكيف بدكتور متمرس؟! وكل ما أقدر أن أقول: إن قولك هذا ينطبق عليه المثل السائر «حَمِيَّةٌ مُدَّت بطين»، ولا يشبه إلا قول أبي بكر ابن العربي (543هـ/1148م) عن الحسين: «لقد قُتِلَ بسيف جده». وقد ذمّه الكثير من أهل السنة على مقولته الشوهاء هذه، وأخشى عليك يا صاحبي أن يمسك من اللوم وابلّ.

وأما قولك: «وقد نصحه أحبة له بالعدول عما قرره، وذكره بموقف هؤلاء من والده، وهذا ما حدث: خذلوه، بل شارك البعض بقتله. فهل اجتهد فرد مهما علا مقامه يخلق فتنة في الأمة يصبح حالة ثأرية تشغل الأمة بفتن مستمرة بإدارة فارسية؟!». «

فهذا رأي فقهاء السلطة بامتياز. والحق يردع قول مُحب يحاول تبرير

جريمة يزيد. وكان عليك يا سيدي أن تعرف الفوارق بين الاجتهاد والواجب. فخروج الحسين واجب، وليس اجتهادًا. وخروج ابن مطيع وعبد الله بن حنظلة واجب. وخروج عبد الله بن الزبير واجب وليس اجتهادًا. ألم تقرأ سبب واقعة ثورة المدينة على يزيد؟ فاسمع الحافظ ابن كثير -ولا أقول الطبري لأنك لست عنه براضي- وقد استبعد ابن كثير كثيرًا مما رواه وفد المدينة عما شاهدوا من سوء فعالة عندما وصلوا إليه، وعادوا غاضبين عليه، واكتفى - وهو المرضي عنه عند علماء وفقهاء أهل السنة- بالقول: «ولما خرج أهل المدينة عن طاعته وخلعوه وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة، لم يذكروا عنه -وهم أشد الناس عداوة له- إلا ما ذكروه عنه من شرب الخمر وإتيانه بعض القاذورات، ولم يتهموا به زندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض، بل قد كان فاسقًا. والفاسق لا يجوز خلعه، لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج، كما وقع زمن الحرة».

ولن أناقش ابن كثير فيما ذهب إليه من عدم خلع الفاسق وإن ظلم؛ لأنه عندهم لا يجوز الخروج على ولي الأمر ما أقام الصلاة. ولكن أدينه من لسانه، فقد سبق أن ذكر أنه كان ليزيد «خصال محمودة.. وكان فيه أيضًا إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات، وإماتتها في أغلب الأوقات». وبحكم معتقدهم السياسي بأنه لا يجوز الخروج على الإمام برًّا كان أو فاجرًا ما أقام الصلاة، فهذا هو ابن كثير بعظمة لسانه يثبت أن يزيد كان يميئ «الصلاة في أغلب الأوقات» ومع ذلك ظلوا يعتمدون

إمامته وهو فاسق لا يقيم الصلاة، فنقضوا أهم شروطهم بوجوب الطاعة - وربما دكتورنا معهم- وتخلوا عما يعتقدون. ومع أن من شروطهم العدل في الإمام، لكنهم لم يطبقوه، ولا اعتمدوه، على أنه ليس شرطاً ينقض البيعة، مع أنه أهم عقد اجتماعي بينه وبين الأمة. وربما كانت الزيدية من أفضل المدارس حرصاً على شرط العدل وأنه إذا نقض هذا الشرط وجب الخروج على ناقضه.

وقبل أن اختتم هذه الفقرة، أحب أن أشير إلى بدعة كلمة "ولي الأمر" هذه والخلط بينها وبين "أولي الأمر". فأولو الأمر يعني المتولين له، أما الولي فهو كالوصي على من لم يبلغ الحلم، وولي المرأة أبوها أو زوجها. وهكذا جعلوا للحاكم من خلال هذا التعبير وصياً على الأمة الأمية، مستلهمين ذلك من جعل الأب أو الزوج وصياً على المرأة.

وذهبت متلمساً نجدة ما استوطنت فيه، وقلت: «هذه الأفكار التاريخية المثبتة هي المستوطنة في ذهني وعليها أسست ثقافتني من أجل أمة لا من أجل أفراد، كانوا على حق أم على باطل».

فليس في الإمكان أن تستوطن أفكار تاريخية مكاناً ما بدون أن تتحرك وتحرك، وإلا فهو التحجر نفسه. نحن جميعاً نعرف أن التوحيد والأركان والفرائض هي التي لا تقبل التحول، لأنها ثابتة. وما عداها فهي متحركة. والاجتهاد والقياس حركات متطورة ومحركة. وفهم التاريخ متحول متطور. وما لم يكن يُفهم بالأمس فهم اليوم. وقد تمكن الإنسان بوسائل العلم الحديث

من التدقيق في كثير من القضايا الزائفة حيث أسقطها التدقيق من حسابه. الخ. وأعيذك أيها الصديق الكريم أن تكون متجمداً فيما استوطنت فيه، أو استوطنت فيك.

بعد هذا الذي أبديته، تدعو إلى قيام وحدة عربية مبنية على تصورك: «وبناء عليه أدعو لوحدة أمة عربية أولاً كدائرة قد تتسع إسلامياً على وفق ظروف إنسانية متاحة. لا أكره دولاً أعجمتها، بل أعارضها لتدخلها في شؤون الأمة العربية، لادعاءات مذهبية باطلة، هدفها توسع عنصري على حساب الأمة العربية».

كلام جميل، وأنا مثلك أدعو لاتحاد عروبي أولاً يقوم على الثقافة واللغة، ولا أقول عرقاً عربياً -إن بقيت هناك عروق بعد هذا التمازج الكبير- وإنما ثقافة قرآنية بلغات شتى. وفي سبيل هذا المبدأ أسعى، وإليه أقصد، على خلاف بيني وبينك في الطريق إلى تحقيقها. فأنا لا أخلق للعروبة أعداء، بل أحولهم إلى أصدقاء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً. أما طريقتك سيدي فإنها تسعى -بعلم أو بغير علم- لتقص الأجنحة الطوال، وتبقيها تحوم في الغرف المقفلة، وتسد عليها المنافذ، لاعتقدك بأن الأعاجم يأترون بها. ولو دققت النظر لعرفت أن الحصن العربي مهدم من داخله، فلننظف بيوتنا قبل أن ننظف بيوت الآخرين.

وقلت مؤكداً رأيك: «فلا ترسبات لكرهية كما ظننت خاطئاً أيها الأخ العزيز، بل ممارسة بسلوك تلك الدول الأعجمية وبسلوكها المعادي للأمة

العربية عبر التاريخ، وحقائق اليوم لأكبر دليل على ذلك».

يا سيدي لو كان الحكام العرب عقلاء مستقلين، لما سمحوا أن يُسيروا بيد الغير، معصوبي الأعين أو مفتحيها. ولما أقدم صدام على محاربة إيران، ولما غامر في الكويت. ومن الواقع التاريخي فالرئيس صدام هو من هاجم إيران وهو من هاجم الكويت، فهل تريدني سيدي أن أقبل العكس برحابة عقل؟!

سيدي لقد نجحت في تأليبك العالم الإسلامي - غير الناطق بالعربية- على العرب بشكل لا يقبل تبريراً، إلا التمهذب والتعنصر.

ثم قلت: «.. فأنا، وبلا فخر، رجل علمي أعتمد العلم ومنطقه في التحليل، لذا فلسْتُ من يثقُ بكل رواية إخبارية أو نَقْلَة تاريخية. وأعلم أن تلك العلوم الإنسانية يلعب بها الهوى والمواقف الذاتية ووعاظة السلاطين. فكل مؤرخ له ظروفه وعلاقاته وهواه وكرهه ومحبته، فلا عقلٌ يحكم تلك السلوكيات إلا ما ندر، وعلينا أن نفتش عن هذا النادر إن كان موجوداً حقاً». كلام في ظاهره التواضع ولكنه يعبر عن سواه. وصحيح ما قلته سيدي، لكن من أعطانا -أنت وأنا- الحق في القطع بأن آراءنا هي الصواب المستقيم؟! وها أنت قد أعطيت من العلم كثيراً، ومع ذلك فأخطاء تحليلاتك ملقاة على السطح. (يلعب بها الهوى والمواقف الذاتية...) ولو كنت فقط تريد التوصيف فحال جميل.

وإن كنت تريد أنك أنت من النوادر، وأن أحكامك لا يسودها الهوى؟

فما تقوله غير ما تفعله. والمرء لا يعرف عيوب نفسه، ورحم الله امرأةً أهدى إليَّ عيوب نفسي.

وبعد مقدمتك التي أسست عليها أفكارك، انطلقت منها إلى النقاط التي أثرتها أنا أمامك لتتدارسها معاً بروية منصفة، وبحث عادل، لكي نصل من خلالها إلى فهم مشترك، أو قريباً من فهم مشترك، أو نفترق على محبة واحترام. لكنك خرجت عن هذا الإطار العلمي الهادي إلى حقل الاتهامات المجذب، فاتهمتني بأني إيراني الهوى، وقلت: «وكأنني أراك إيرانياً!! أكثر من الإيراني نفسه». ثم أكدت هذه التهمة بقولك: «وهذا حقك كإنسان، ولكنني لا أراه حقاً لك كعربي مع الاعتذار لأن العروبة ملك الجميع وهويتهم».

أولاً: عزيزي مادام وقد أثبت لي حقي كإنسان، فقد أثبت لي حقي كعربي، إذ لا يمكن أن تفصل العروبة عن حق الإنسان. وليس في مكنة أحد أن يعطي العروبة حقوقاً متميزة عن حقوق الإنسان. فهذا أول حمل سقط.

ثانياً: ليس في حبي للإيراني والباكستاني والأفغاني الخ ما يعيب، فأنا أحب المسلمين وحتى غير المسلمين، أنهم كما قال أمير المؤمنين (نظراء لك في الخلق). وقد فرش الرسول عليه السلام لوفد الحبشة النصراني رداءه في مسجده الشريف، ليجلس الوفد عليه.

ثالثاً: وسأجاريك وأناقشك مذهبياً بالرغم مني، ولكن لأجل أن تفهمني،

فلا تسارع باتهام إن كانت تهمة في حقيقة الحال. وأقول: لو كنت مطلعًا على الزيدية لوجدت أن بينها وبين الإمامية خلافات في الرأي واسعة. ولو كنت أنا مذهبياً لوقفت مع الزيدية نفسها، ولكنني غير مقفل عقلياً على مذهب معين، فكل المدارس مدرستي أقطف منها غصونها الرائعة.

رابعاً: أن الخروج من البحث إلى الاتهام، هو هروب من المواجهة إلى موقع التخفي. فربما صعب عليك الحوار، فاتخذت من الاتهام مطية للفرار من مواجهة ما يطرح أمامك. فلنبتعد- سواء أنت أم أنا- عن الأماكن الموبوءة، ونبقى في ساحة الحوار حتى نُبقي له شرفه.

بعد ذلك سردت قائمة بالنقاط التي حاورتك فيها وعددتها:
فقد سألتك كيف نشأت الحركات الشعبية ولماذا نشأت. فلم تأت بجديد، وإنما هو التكرار. لكن الجديد أنك قلت: «فالمسألة هنا تخضع لوجهات نظر ربما تختلف». ومادام الناس منها على طرفي نقيض، فلا أحد يملك الحقيقة. ومنها الحكم على دور البرامكة، فالقوم منهم على خلاف. قد أستطيع أن أفهم أن القيادات الأعجمية الإسلامية كانت تطمح إلى الحكم، وهذا من حقهم كما هو نفس الحق للعربي أن يستعيد قيادته. وقد سقطت الدولة العربية الأموية بسبب شوفونيتها المتطرفة، كما سقطت ملوك الطوائف العرب بسبب ارتهاانهم لعدوهم كما يجري اليوم. وبالطبع فإن الأعاجم لم يسقطوا الأولى وبقينا لم يسقطوا الثانية، وإنما نحن العرب من أسقطها. فعلينا والحالة هذه أن نحقق في الأسباب التي جعلت من العرب

روادًا وجعلت منهم مرتدين. فالخلل في قابلية السقوط تكمن في أنفسنا، كما كانت قابلية النهوض تكمن في أنفسنا كذلك.

أما قضية العطاءات، فلم يثبت لي قط أن الأمراء الراشدين فاضلوا في العطاء بين المسلمين على أساس العرق، وإنما على أساس عمل، والأقدمية في الإسلام. وأنت تعرف أن المال في الإسلام هو وظيفة اجتماعية. وما ورد في القرآن من تفاضل فهو التفاضل في الأجر الإلهي، والتفاضل في التقوى، وفي جهد العمل الإسلامي، وليس العرقي. حيث ينص القرآن على أفضلية الأنصار والمهاجرين على مسلمة قريش وغيرها، وعلى من أسلم بعد الفتح لا لعرق، وإنما لفضل السبق إلى الإسلام: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [التوبة: 100]. أما ما أُعطي المؤلف قلوبهم بعد الفتح فليس فيه تفضيل، ولكن فيه تسكين لغوائلهم. وعندما خفت قوتهم، ولم يعودوا شوكة في جنب الإسلام، قطعها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فهناك فرق في التفريق. فأنت أيها الدكتور سرعان ما تقع بسرعة في فخاخ الألفاظ، بدون أن تفرق بين التفضيل في المال، والتفضيل في التقوى.

قلت إن الأعاجم هم كل أمة غير عربية، أي يعجمون اللغة العربية، وليس وصفًا للإهانة، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. وهذا تحديد جيد لو استمررت عليه. ولكنك ما لبثت أن مسخت ما قلت عندما قلت: «نعم هناك دعاة ثقافة محسوبين على الأمة يدعون إلى استعمال الحرف اللاتيني

لتبريرات واهية، فهم في سلوكهم هذا تجدهم من أصول شعوبية ينتمون لأصول أعجمية أو انتماءات دينية متطرفة صليبية». ولكني على علم بأن بعض من دعا إلى استعمال الحرف اللاتيني لبنانيون من أصول مصرية وقيسية. وفي مصر كان عبد العزيز باشا فهمي قد طرح فكرته هذه في الجلسة التي عقدها مجمع اللغة العربية في 3 من مايو 1943، كما قدم إلى مؤتمر المجمع في جلستي 24 و31 من يناير 1944 وقد رُفِضت رفضاً باتاً، وفُتدت بحيث لم يبق منها شيء.

وُعُدت إلى الصحابي الجليل سلمان الفارسي، فلم تزد على قولك إنه كان مجوسياً، وأنه أسلم وأنه آمن صدقاً. وماذا في هذا يا شيخنا؟ فماذا كانت عليه جدودنا في الجاهلية العربية قبل الإسلام؟ ولم تأت بجديد نستفيد به من علمك. ولعل الخطأ الأبرز أنك أرجعت بداية السلوك العنصري على يد الصحابي سلمان فنبهه الرسول. ولنفترض أن سلمان نقد العرب وأن الرسول بيّن له خطأه وأنه لم يعد إليه، فكيف يكون قوله بداية السلوك العنصري وقد تاب عنه؟! وقد ذكرني ترداك لنفس الكلام بقول الشاعر:

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

أو قول الآخر:

أقام يجهد أياماً قريحته وفسّر الماء بعد الجهد بالماء

أما قولك: «أما العلماء من أصول أعجمية فهم ولدوا ونشأوا في حضن ثقافة عربية إسلامية اعتمدت العلم والتفكير والتعقل، ومن يظن خلاف ذلك

فهو للقرآن يجهلُ. وكان ذلك بعد قرن ونيف، بل بعضهم بعد أجيال. ولا ضير في ذلك فتلك سنة الحياة. فحضرتك قد يبدع في أمريكا، وما كنت إلا متعلما عاديا في اليمن. فالبينة وتطورها له أثر كبير في إبداع الإنسان، تلك حقيقة علمية لا عنصرية فيها».

اتفق معك في هذا. وما داموا كذلك، فقد نقضت كل أقوالك عن الأعاجم ورجعت إلى الصواب. والعود أحمد، والاعتراف بالحق خير من التماذي في الباطل. وإذن فما ندندن حوله هو الثقافة القرآنية بلسان عربي مبين. وهذه الثقافة العروبية هي الحاضنة لكل مسلم على وجه الأرض. ولما غالى العرب بعرقيتهم انهارت دولتهم ولم تعمر سوى عمر رجل فرد.

من ناحية أخرى أريد أن أصحح لك معلومة قد تفيد، وهي أنني لم أستقر في أمريكا، وإنما أتنقل بينها وبين البلدان العربية واليمن، وأنني عندما وصلتها كنت أدنو من الخمسين عامًا. وهذا فقط مجرد معلومة أهمسها في أذنك الكريمة.

قلت أيها السيد عن إسلام الفرس: «حقيقة أنا أعجب أن أسمع من الأخ العزيز الوزير ما يؤدي للعجب، وكأن حضرتك لم تكن حاضرا أحداث الأمة منذ 1952 وحتى يومنا هذا، أو حضرتك ينكر على التاريخ «ذي قار» قبل الاسلام والقادسية بعد الإسلام».

أريد أن أسألك: لماذا تعجبت مني وأنا حاضر أحداث الأمة منذ 1952 وحتى يومنا هذا، وأنا لا أنكر على التاريخ «ذي قار» قبل الاسلام ولا

القادسية بعد الاسلام؟! وأعرف أن الفرس لم يكونوا يستعمرون العراق، وإنما كان العرب هم الذين استوطنوا عاصمة الفرس ودخلوا إيوانهم المسمى بـ «طاق كسرى»، والذي يقع جنوب مدينة بغداد على مسافة 40 كم. وأعرف أن البيزنطيين كانوا يتحكمون في الشام. أقول: أعرف ذلك، وأعرف أن ما تطرحه سيدي ليس موضوع نقاشنا. فأنا أعرف معركة ذي قار بأسباب وقوعها. أما أسباب القادسية ونهاوند وفارس الكبرى كلها، فهي بعد الإسلام ولا تندرج في أسباب دوافع ذي قار. أن فتوحات الإسلام ليست امتداداً لقتال عنصري- فارسي أو بيزنطي -عنصري، كما كانت ذي قار. وإنما كانت دوافعها نشر العدل في العالم. ألا تعلم أن دوافع الفتوحات في أيام الإمارة الراشدة هي غير الدوافع؟ أما لماذا حارب الغساسنة المسيحيون بجانب العرب المسلمين ضد البيزنطي المسيحي؟ فأنهم وجدوا في الإسلام العدل المنشود الذي لا يفرق بين مسلم ومسيحي، والذي عبّر عنه جدك العظيم علي فأجاد التعبير بقوله: (والناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق). ثم إن الإسلام نقل الغساسنة والمناذرة من التبعية الفارسية إلى القيادة الإسلامية.

يا أخي اترك الاتهامات جانباً، وانصرف إلى البحث. وليكن أدب الحوار هو رائدنا. فلا تتهم من يخالفك بوجود مرض عنده، وتحسب أنك أنت الصحيح المعافى- وأرجو لك دوام الصحة- فليس في قلب أي باحث مخلص مرض، وإن خالفك في رأي. فلماذا تستحيل في نفسك طائفية ومذهبية يبدو

أنهما كامنان في الأعماق، مستوطنتان في الوجدان، تعبر عن نفسها بين
الحين والآخر في فلتات لسان؟!

ثم يا أخي لم يُجبر الفرس على الاسلام قط، وإنما أسلم من أسلم منهم
طواعية، ومنهم من بقي مجوسيته حتى اليوم، ولم يتعرض له المسلمون بأذى.
ويخيل إلي أن خلط الأوراق متحكم فيك، فلم تفرق بين الحاكم الظالم
وبين المحكوم المظلوم. بل جعلت رسالة الحاكم الفارسي إلى الرسول وكأنها
تجسد رأي المحكوم، ومن ثم تضيع عليك الرؤية. فهناك فرق بين كسرى
الحاكم الطموح، وشعبه المستذل. فكسرى كان يكره العرب ويحتقرهم،
وكان عنصرياً. ولكن الفارسيين رأوا في العروبة على عهد الراشدين أخوة
صادقة، اصهرها إليهم، فكان منهم البنون العظام حتى كان الفرس أحوال
جدك العظيم زين العابدين. وتبنوا لغتهم وأدبهم وشعرهم. ثم انقلبت الآية
فلم يعد المسلم أخو المسلم، بل أصبح ثمة موالي مهمشين، تخلقت منها
عند فئة من المثقفين فكرة المساواة بين الشعوب. فغالى البعض منهم في
العداوة للعرب، وغالى بعض العرب في احتقار الأعاجم. ويصدق فيهما معاً
قول الإمام علي في عثمان: (أنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم
فأسأتم الجزع). ومن الحالة العثمانية المروانية نبعت الفتنة السياسية، ومن
الحالة الشعوبية نبعت الفتنة العنصرية «ولله حكم واقع في المستأثر
والجازع».

وأريد أنؤكد لك يا دكتور أن الدفاع عن العروبة لن يأتي بإثارة بغضاء

مفتعلة، بل بنشر ثقافة المحبة، لا نشر ثقافة الكراهية التي تزعم أنها حماية العروبة. لا لا يا سيدي، متى كان نشر الكراهية توسيع محبة؟! بل انطواء على أحقاد. إن نشر المحبة، وطمس العداوات التي ولدتها أطماع السياسيين هو العمل الذي يرضي الله ويرضي الإسلام ويرضي العروبة، ويرضي الإنسانية.

يمكنك القول دكتورنا: أن أفرادًا من أهل فارس بدأ التخريب بين صفوف المسلمين منذ لحظة انكسارهم وإجبارهم على الإسلام، فهذا قول مقبول. وأما اغتيال الفاروق فلم تأت لنا بدليل جديد. لقد ذكرت لك أن من اغتاله هو أبو لؤلؤ-غلام المغيرة بن شعبة- ويتهم فيها كعب الأحبار. ويمكن أن مجموعة من أهل فارس يقيمون لأبي لؤلؤة مزارًا في إيران، ولكن ليس كل أهل فارس. وعند العرب وخاصة الأعراب معتقدات في الأولياء بأنها تضر وتنفع، فيحجون إليها ويعتكفون حولها؛ معتقدين أنها تفك عقم العقيمت. وكثير منهم يجعل من الشجرة شبه صنم تقرب إلى الله زلفى، فهل نعم القول على العرب؟!!

وآخرًا يا عزيزي، إن من يتتبع العثرات للتشهير، وإثارة العداوات بين الشعوب- كما يفعل البعض- وليس لمعالجتها- كما يفعل البعض الآخر- سيجدها، وسيجد نفسه كما قال الشاعر:

ومن يتتبع جاهدًا كل عثرة يجدها ولا يسلم إذ الدهر صاحب

وقول ابن عمك الرضي:

إذا العضو لم يؤمك إلا قطعته على مضض لم تبق لحما ولا دما
ومن لم يوطن للصغير من الأذى تعرض أن يلقي أجلاً وأعظما

جدلية دور إيران في المنطقة العربية

ذكرت أن «دور إيران في العصر الحديث يبدأ من استعمار الأحواز العربية بدعم انكليزي منذ عام 1926م ثم تدخلاتها في العراق منذ زمن الشاه بعد عام 1958م ثورة العراق».

هذه الفقرة أخرجتنا سيدي من دراسة التاريخ القديم، قبل أن نتفق على ما اختلفنا عليه. وكان الأولى أن نمشي خطوة خطوة حتى نصل إلى غاياتنا. فذهبت تقنعني أن المشكلة مستدامة منذ فجر الإسلام وحتى الساعة. فأنت ضربت المثال به شاه ثار عليه المسلمون وحولوا السفارة الصهيونية إلى سفارة فلسطينية، ودعموا- وهم شيعة- جهاد حماس- وهم سنة. ربما أنك قومي عربي إسلامي- كما وصفت نفسك - فكان عليك -على الأقل- أن تتمسك بدوائر عبد الناصر الثلاث لردم الهوة بينها، فنعمل لنشر الأخوة بين العرب أولاً، ولا تقف مع سنة ضد شيعة أو العكس، ثم تمد الجسور بينهم وبين المسلمين ثانياً، وبينهم وبين الإنسانية ثالثاً. ألم تقرأ - وأنت القومي العربي- دوائر الرئيس عبد الناصر الثلاث فاعمل بموجبها ولا تسعى إلى تخريبها. على أن اعترافك بدور مصدق رجلاً وطنياً، وأن منطلقاته تحررية ضد

الشاه وضد الغرب، فقد اعترفت بأن مصدق الفارسي ك عبد الناصر العربي كان يؤيد حركات التحرر في العالم، كما هو موقف القوميين العرب بمختلف فئاتهم الحزبية. إذن فقد اعترفت، والاعتراف بالحق فضيلة، أن في فارس رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

أما ما ذهبت إليه من قصة مجاهدي خلق، فالتحليل السياسي يناقض ما ذهبت إليه. فلم تكن حماية مجاهدي خلق في العراق دعمًا لحركتهم التحررية، لتستدلّ بها على عدم عنصرية حركة القومية العربية أساسًا. فالعملية السياسية هي سيدة الموقف. ولو كانت كما قلت، لكانت العراق قد فتحت أبوابها للحركة السياسية المعارضة للشاه. لكنها أوصدت الباب لكل معارض لسيد إيران الشاهنشاهية. وهنا أجذك قد وقعت في فخ نفسك، فأنت تأخذ على إيران التدخل في الشؤون العربية ولا تأخذ على العراق التدخل في الشؤون الإيرانية. أنك بالفعل سيدي الدكتور تكيل بمكيالين، معصوب العينين.

على أنه لا يعني أنك تعتبر إيران الخميني (ت 1409هـ/1989م) امتداداً للإمبراطورية الفارسية: باسم المذهبية الطائفية، فهذا رأيك، وذلك ما يختلف الناس عليه. والناس حتى اليوم مع يزيد والحجاج على طرفي نقيض. وكذلك رأيك عن المذهبية المفترية على فقه آل البيت والتي بدت تتجسم في زمن البويهيين الفرس. لكنني أريد أن أشرح لك خطأ وقعت فيه تاريخيًا: ذلك أن البويهيين ليسوا شيعة إمامية، وإنما هم زيدية أسلموا على يد الإمام

العظيم الناصر الأطروش (ت ليلة الخميس 25 شعبان 304هـ/21 فبراير 917م) مع مائة ألف من الديلم خلال ستة عشر عاماً وهو بينهم يدرسهم ويعلمهم. وهذا الناصر هو من أئمة الزيدية العظام والذي قال فيه الإمام الطبري- وإن لم يعجبك قوله-(ولم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته وإقامته للحق). وهم وإن ظلوا زيدية إلا أن الطمع في الحكم أبعدهم عنها، وبقيت حركة سياسية ذات معتقد زيدي. ولي بحث في هذا الموضوع، إن أردت أن أزودك به أفعل. وأنا أعلم أن هذا الانتساب قد يسيء إلى الزيدية، ولكن التاريخ فوق كل تاريخ.

كذلك انبهك إلى خطأ تاريخي آخر، وهو أن الشيعة الإمامية قبل الشاه إسماعيل الصفوي (ت 930هـ/1524م) كانت منتشرة في أكثر من مكان كمدرسة فقهية وفكرية، وليست وحدها متواجدة فيها. فقد كانت هناك مذاهب كثيرة، قد يكون وجود الإمامية فيها من متوسط المذاهب. ولكن من بعد الشاه إسماعيل الصفوي تحول المذهب إلى دولة، كما تحولت الحنفية على يد العثمانيين إلى دولة، والزيدية إلى دولة، والوهابية إلى دولة.

كذلك أنبهك إلى أن فكرة المهدي المنتظر لم يبتدعها الصفويون، وهي قد ولدت بعد وفاة الحسن العسكري الذي لم يعقب. كذلك لا يوجد مذهب إسلامي لا يعتقد بـالمهدي المنتظر، ولكنهم يختلفون فيه، وفي زمن ظهوره. كما لا أشاركك الرأي أن المخابرات الأمريكية جاءت بالإمام الخميني -حسب قولك- وحتى إذا جاءت به جلاً، فقد أذاقها عذاب

السعير، تمامًا كما فعل الزعيم لينين مع الألمان.

وقبل أن تبحث سيدي بمن جاء بهذا وبذاك، أفلا تنظر إلى داخل بيتك العربي، ومن جاء بحكام العرب كلهم؟ أليس البريطانيون والفرنسيون هم من جاء بحكام العرب باستثناء اليمن والمغرب؟ ثم شملت المغرب الحماية الأمريكية. وإذا كان الإمام الخميني قد اتخذ من المخابرات الأمريكية سلماً لبناء إيران الحديثة، فلماذا ظل الحكام العرب متمسكين بالأجنبي يقتلون بعضهم بعضاً من أجل تنفيذ مآرب الأجنبي؟ أخشى يا سيدي أنك ممن يرى القذى في عين أخيه، ولا يرى الخشبة في عينه.

كما أن إيران لم تبدأ العدوان على العراق في 1980/9/4م. قد يقبل المؤرخ القول إن صدام استبق، فشّن حرباً وقائية على إيران. فما ذهبت إليه ليس قول مؤرخ منصف، وقول لا يستطيع أحد أن يبلعه. ومن الغرابة بمحل أنك تعتبر طرد سفارة الكيان الصهيوني خطوة تبررها أهداف النظام الإيراني اللاحقة. فهل أنت مؤرخ نوايا؟ أم مؤرخ وقائع؟! وكان عليك -وأنت الدكتور- أن تستعمل كلمات الباحثين: (أظن، اعتقد، أرجح، أو حتى يخيل لي).

ثم أنت تعيب على إيران وجود الكنائس اليهودية في طهران، وتدعي حجب المساجد على إخوانهم المسلمين الذين من مذاهب أخرى. ففي موضوع كنائس اليهود أقول: ليس فيها ما يعيب، فهم مواطنون ضمن لهم الإسلام حق العبادة وحماية معابدهم. والإسلام كما تعرف يضمن حرية معتقد اليهود والنصارى. وطالما نادى المسلمون منذ أيام أبي بكر بحماية

المعابد والكنائس وحتى عبدة النار لم يضرهم أحد بشيء. ثم أن الهياكل اليهودية ملء العالم العربي. أو تريد سيدي أن تعتبرهم غير مواطنين؟ ألا تعرف أن يهود اليمن عرب أقحاح؟! ولكن قل لي: هل توجد مساجد للشيعنة خارج مناطقهم في السعودية؟ مهمتك يا سيدي أن تقدم الوقائع كما هي ضارة ونافعة مجردة من العواطف والهوى والعدوانية المترتبة.

صحيح ما ذكرت أن العمالة هي أن تؤدي عملاً لأجنبي، ولا عمالة بين الأشقاء. ولكن ماذا ستعمل بالآية الكريمة التي أنزلت على جدك، والمفروض أنك ممن يحملها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]؟ فلا عمالة أيضاً بين الأخوة المؤمنين.

ولقد قلت لك أنك مولع بخلط الأوراق، وأنت تخلط بين الشعوب وحكامها. هل كنت قادراً على مهاجمة إيران أيام الصفاء بين بغداد وطهران على إثر اتفاقية الجزائر؟ هل كنت قادراً أن تنقد هذه الاتفاقية؟ بينما أنا أفرق في أبحاثي بين الشعوب وحكامها. فأنا ضد معظم الحكام المسلمين عرباً وأعاجم. وحتى لو اهتممتني بالتحيز تجاه إيران أو أي اتجاه آخر، فأنا لا اكتفي بالانتماء إلى النبي الأعظم سلالياً، بل منهجياً. وهذا المنهج أرجو ألا أحيد عنه. وقال رسول الله: «مَنْ صَلَحَ فَهُوَ مِنِّي، وَمَنْ خَبَثَ فَمِنَ الشَّيْطَانِ». و«لَا يَأْتِينِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ، أَنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» أو كما قال. وبطبيعة الحال فأنا أسعى جاهداً إلى أن أحمل الرسالة الإسلامية العالمية، وهي وحدها التي تسمو بي فوق كل انتماء. ولا أبالي بقول من قال

إني أميل إلى هذا أو ذاك. فأنا - كما اعتقد وكما أرجو- أسعى إلى طلب الحق بدون دوافع مذهبية، أو طائفية، أو سياسية. رضي من رضي، وغَضِبَ من غَضِبَ. ثم أنني لم أعد قلّمي على اتهام أحد، فاتهم الآخر هروب من مواجهة منطقه.

ولعلمك أنني لا أعتبر الشعب التركي عدوّاً، بل أخاً. ولا أعتبر الشعب الإيراني عدوّاً، بل أخاً. ولا أعتبر أردوغان رئيس دولة أجنبية، بل رئيس دولة شقيقة. أما إن سياسته أو سياسة غيره وما فيها من ظلم، وغياب عدل، فلها حكم آخر حكم سياسي لا أخوي. ومن هنا فأنا أخالفك في نظرتك الجانبية وغير المحيطة عن البحرين والمنطقة الشرقية للجزيرة العربية، وسماحة السيد نصر الله. ومع ذلك تتجراً-وليس ذلك من شيمة العلماء- فتوحي بأنني أتعاطف مع دولة إسلامية بقيادة الولي الفقيه خامنئي!! لحين ظهور المهدي المنتظر!! ثم إنك تضع في لساني كلماتك وتقولني ما لم أقل. وما هكذا تورّد يا سعد الإبل!! هل قرأت كتبي ومحاضراتي حتى تصنّفني مع هذا أو ذاك؟ وفي حالة اليمن لعله يصدق عليك سيدي قول أمير المؤمنين: «ما جادلني جاهل إلا غلبني، وما جادلت عالماً إلا غلبته». وأنا لم أجردك من العلم المطلق، إلا في الحالة اليمنية إذ من كلامك عن اليمن يبدو لي أنك مستمع جيد للعربية والجزيرة وعماتها وخالاتها من صحف ومنشورات، وأنت تعلم أن هذه ليست مراجع للبحث العلمي قط. وخذ مني نصيحة يا ابن العم الكريم: ألا تخض في بحر لا تحسن السباحة فيه. ولعل طول

مكثك في الخليج قد جعل منك مستمعاً طيعاً.

ثم إنك عالم مؤسس للهيئة العربية للطاقة الذرية وهو عمل رائع حقاً، وينقص العرب علمه والاستفادة منه. وليتك تظل فيه بعيداً عن المذهبية والعنصرية، فتخدم العراق والإنسانية خدمة جليلة. ويبدو لي أنني لو أجريت لك امتحاناً في أخبار اليمن لما بلغت صفراً كما اعتقد. وليتك بقيت حيث أسست لكنت قدمت خدمة لا تضاهي.

ولم تكتف باتهام حماس وحزب الله، فقد عدت مرة أخرى إلى نفس النعمة المبحوحة فتحدثت عن حماس وحزب الله أنهم عملاء لـ إيران، أي عملاء لمن يساعد في استرداد القدس وفلسطين؟! وأنها لجملة لا تبتلع. ولنفترض أنهم عملاء لـ إيران المسلمة، وأنهم يقاتلون الصهيونية من أجل تحرير فلسطين، أليس في ذلك عمل مجيد؟!

ذكرت سيدي أنك كنت في لندن لزيارة جامعة مفتوحة «لنستفيد في إنشاء جامعة مثلها لدول مجلس التعاون للخليج العربي، عام 1985م». وأنت زرت الهايد بارك فوجدت مسلماً يخطب دعماً لـ إيران متهماً «النظام في العراق ليس إسلامياً». وهذا خطأ كبير حقاً وصدقاً، لا يقره عليه عاقل. ولكنه لو أنعمت النظر- لا يختلف عنه قولك السيئ في ادعائك أن كل الأعاجم يكيّدون للإسلام! فهذا التفكير من ذاك. ولا أظن الأخ العزيز يقبل أن ينكر ذلك، ولا يستطيع أن ينكر الكراهية من نفسه، وأن يجعل من نفسه الخصم والحكم لأن ما رواه عنهم (حقائق واقعية). ولو قارنا بين ما قال الخطيب

الإيراني وما تقوله، فالتلاقي بينكما موصول. فهو يتهم النظام الصدامي ولم يتهم العراقيين، وأنت اتهمت الأعاجم كلهم.

أما ما يجري اليوم من صراع سياسي يستخدم فيه الذهب والمذهب بين حكام العالم العربي، فهو كما قلت: «لا يحتاج إلى مجلد لتبيانها، هو عملية سياسية احتلالية أوجدها احتلال غاشم دون مبررات دولية بتعاون حكام عرب عملاء لأهداف المعتدي، علاوة على أخطاء ارتكبتها قيادة العراق بدون وعي وحكمة. فهو اليوم ضحية عدوان غاشم وتدخل إيراني طائفي فاضح من خلال حكومة طائفية ومليشيات إيرانية الهوى والدعم بلغ عددها الأربعين مع مجموعة عملاء من مذاهب وإثنيات أخرى تجمعهم أحقاد ولصوصية. وهم والأمريكان أسباب ظهور داعش المتخلف إسلاميًا». فكلامك هذا قد يقبل وقد يرفض، لأنه قائم على قضايا ظننتها أنت مسلمة، وظنها غيرك غير صحيحة.

وكذلك بقية أقوالك عن النظام السوري ولبنان، فلك رأيك، ولا يدخل في النقطة المحورية التي أناقشك فيها، وهي تتمحور في نقطتين: الأولى: العوائق السياسية الداخلية، والثاني: قولك إن المسلمين في كافة أنحاء العالم يكيّدون للإسلام كما تعتقد. وما عدا ذلك فلك رأيك، وعند الله تجتمع الخصوم.

الحديث عن الأزمة اليمنية

مرة ثانية أعود فأناقشك عن اليمن -الذي ثبت من خلال ما رويت عنه- فهماً ناقصاً لتاريخه الحديث، وربما القديم أيضاً. وقلت: «واليوم هو مسرح لأعمال عسكرية بسبب ما فعله الحوثيون وبدعم إيراني واضح، ودول الخليج وآل سعود تحت تهديد إيران وعملائها في بلادهم لا بد أن يدافعوا عن بلادهم من شر إيراني طائفي، واضح علناً؟»

فمن هم الذين يدافعون عن بلادهم؟ هل تعتقد أن من يسميهم خصومهم بـ"الحوثيين" ويسمون أنفسهم بـ"أنصار الله" ومعهم الزيدية، هم قلة قليلة؟ لا يا دكتور! ليسوا كذلك! ولو كانوا كذلك لكان قد هزمهم التحالف العربي ومرتزة الكمبوديين والإريتريين والحبشيين والبلاك ووتر وبحماية مباشرة وتعاون قوي مع الأمريكان والبريطانيين. ولكنهم بعد سنة وتسعة أشهر لم يحقق هذا التحالف أي نصر حاسم بالرغم من الحصار البحري والجوي الخانق. وإذا كنت -وأنت الدكتور تعتقد أن أنصار الله موالون لإيران عقائدياً، فاسمح لي أن أطلب منك مراجعة مصادرك تماماً؛ لأن مثل هذا القول يدل على جهل فاضح بـ الزيدية.

ثم إنك يا الدكتور من خلال كلامك عن اليمن يتأكد جهلك بتاريخ الصراع بين الوهابية والزيدية. وتجهل الصراع بين الإمام الكبير محمد بن إسماعيل الأمير (ت 1182هـ/1768م) -إن كنت قد سمعت به- وبين أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت 1206هـ/1791م). ثم بين خلفائه والإمام

المشهور محمد بن علي الشوكاني (ت 27 جمادى الآخرة 1250هـ/31 أكتوبر 1884م) وقد سمعت به. ثم هل قرأت اجتياح القوات الوهابية لـ عسير وتهامة اليمن في حرب طاحنة استمرت أعوامًا؟ ولعلك لم تسمع بـ «موقعة تنومة» عام 1341هـ/1923م حيث فتك الوهابيون بأكثر من ثلاثة آلاف حاج كانوا في طريقهم إلى مكة. ثم هل سمعت عن الحرب بين الملكين الإمام يحيى والملك ابن سعود؟ فهذه الحروب كانت قبل أن يولد الإمام الخميني بأعوام. ولو قرأت كتب الزيدية لعرفت ما بين المذهبين الإمامي واليزيدي من خلافات، ولما أسرعت في تبرير التحالف العربي في قتل اليمنيين، بحجة ولائهم للإيرانيين. إن سجلًا حافلًا بين المذهب الزيدي والوهابي سبق قيام الثورة الخمينية. والحق يقال إن ما تحدث به عن اليمن يؤكد ندرة معلوماتك عنه، وأن زعمك بوجود ميليشيات إيرانية في اليمن، لمحض جهل، وبهت وافتراء عليها وعلى رجالها. وحتى التحالف لم يقل بما قلت به.

ولو كنت على معرفة بـ اليمن وبـ الزيدية، لعرفت الطبيعة اليمنية التي ترفض التدخل السياسي في بلدها، وفرض مذهب آخر عليها بالقوة. لعرفت أن الزيدية ربّت أتباعها على الخروج على الظالم، ولا تعتقد عصمة أئمتها، وأنها لا تركع لظالم. وأنت تعرف أنها قاتلت العثمانيين سبعين عامًا لم تركع. اليمن لا تقبل وصيًا عليها لا إيرانيًا ولا خليجيًا. ولعلك لم تُحِط -وأنت الدكتور المتمرس- بتاريخ اليمن وفكره الثوري ومحاربته للظلمة شيئًا يذكر. وربما -على ضوء معلوماتك- أنك تستقي معلوماتك من محطتي العربية

والجزيرة. وربما كان مكثك في الخليج قد جعلك تستقي تلك المعلومات من مصادر غير نقية. ولقد حزنْتَ على رؤية رجل يخزن القات وأمامه وعاء ماء، ولم تحزن عليه وهو ينزف دماً سائلاً تراقه سيوف عربية يا أخ العرب.

أساليب الاتهام لحجب الفكرة وترهيبها

أما خلاصتك التي وضعتها سبيلاً للخلاص، واتهممتني بوقوف مع إيران: سياسة وسلوكاً وعملاً إسلامياً، واتهممتني أيضاً بأنني أثق بحزب الله وأعدّه مقاوماً ولا يشوب سلوكه وعمله شائب من بداية طريقه، وأنني أدعو إلى اتحاد إسلامي بقيادة إيران. ولم تكتف بالتهمة، بل زعمت لنفسك أنني لا أرى مشكلة في تدخلات إيران في الشأن العربي في أي قطر من أقطاره؟!

وزاد الطين بلة أنك قَوْلْتَنِي ما لم أقل، واني أقول: «قتل أطفال سورية والعراق على يد مليشيات إيرانية أو قوات إيرانية فاعلمية تحرير نحو اتحاد إسلامي بزعامة إيران». وقلت: إنني أزعم «أن الفرس أمة حضارية لا تضمّر عداً لأحد ومن يقول ذلك مغرض أو يعيش شطحان فكري والعياذ بالله» وأنني قلت: «وأن أي عربي يعمل للقضية العربية يلتقي مع بلد عربي آخر ربما يعد عمالة بحسب التعريف السائد». ثم بعد أن قولتني ما لم أقله، قلت: «وتلك ولا شك منتهى التجني على حقائق التاريخ سابقاً ولاحقاً؛ بل ويسوّف ما يجري اليوم من عمل عدواني طائفي إيراني على أقطار الأمة العربية العراق وسورية ولبنان واليمن والبحرين وشرق الجزيرة العربية». ثم قلت:

«وإن تعقيبي هذا وما سبق من تعقيبات هو تبيان حقيقة إن الأخ الكريم الوزير يعيش وهماً أو يؤمن بأوهام».

اطمئن أنني لا ترهبني مثل هذه التهم قط، فلا أنطق إلا بما أعتقد. وفي الوقت نفسه أتعلم أي تصويب. ومن خلال ما كتبت وكتبت يُعرف من يعيش لا في وهم فقط، ولكن في تقويل ما لم يُقل أيضاً. فأوهامه التي نسبها إليّ، هي قراءة ما في ذهنه مما قد استوطن فيه، لا قراءة حروفي وكلماتي وجُملي. وأن هذه الحروف والكلمات والجمل تتحول في معمل ذهنه إلى حروفه وكلماته وجُمله- وعلم النفس يوثق هذه الحالة- ومن هنا قولني ما لم أقل.

أما أنا فأقول بالدوائر الثلاث، وبأن لا عداء بين الشعوب الإسلامية بكل إثنياتها. وكنت قد كتبت عدة مقالات تحت اسم "مثلث القوة" بين تركيا وتمثل التمدد الغربي، وإيران وتمثل التمدد الشرقي، ومصر بجناحها السوري تمثل الامتداد العربي. لكن هذا المثلث لم يتمكن من الظهور بسبب عدم نضج قاداته. ولا أعرف من أين استقيت معلوماتك أنني أسعى إلى إقامة تحالف إسلامي برئاسة إيران، سوى من حيث استوطنت أوهامك؟!

في بقية الخلاصة التي توصل إليها، انقلب دكتورنا من مفكر وباحث رغم كثافة الأخطاء، إلى دولة فأصدر قائمة بما يجب أن يكون، فمن أمن بها نجا، ومن تخلف عنها تخلف وهوى. وليس ذلك فحسب، بل تحول إلى حاكم بيده سيف يريد أن يفرض على تفكيره، فدعا إلى وجوب:

- شجب عمل حزب الله داخل لبنان وخارجه، وإدانة تبعيته للولي الفقيه

الإيراني علناً.

- أن تُسحب منه الأسلحة الإيرانية ليكون حزباً مدنياً لبنانياً حراً.
- أن تُشجب عمل الميليشيات الإيرانية ولواءً وتكويناً في العراق كما تُشجب داعش وأعمالها ومن أوجدها.
- شجب تدخلات إيران وميليشياتها في العراق وسورية ولبنان. (والعراق والخليج والسعودية قد تدخلت في إيران قبل أن تتدخل إيران لدعم المقاومة).
- تجمع الحركات الوطنية التقدمية والقومية في جبهة موحدة تراعي جميع ما مر من نقاط. والعمل في هديها.
- اعتبار تدخل إيران في شؤون أي قطر عربي ولأي سبب خط أحمر، وتُحترم ضمن حدودها كدولة إقليمية تساهم في استقرار المنطقة.
- أيضاً عليها أن تفهم أن القضية الفلسطينية عربية لا يسمح لها باتخاذها وسيلة لمزايدات سياسية هدفها مغرض.
- ينذر الحكام العرب من الإساءة للقضية الفلسطينية بإقامة أي علاقة مع الكيان الصهيوني ورجالاته لأي سبب كان.
- الطلب من الجامعة العربية أن تلعب دوراً جاداً في حل مشاكل الأمة العربية ولا تقبل بأي تدخل دولي أو إقليمي في شؤون الأمة العربية.
- ليس من حقنا-هو وأنا كباحثين- أن نخرج من الحوار إلى شجب إيران ومنعها من التدخل إلى آخر قائمة الأوامر الحكومية. فليس من حقنا نشجب أحداً قط. علينا أن ندرس أطروحات كل فريق ونقومها. وليس من حقنا أن

نتحول إلى موظفي إعلام أو داخلية لنصدر هذه الأوامر. فما بالك دكتور تحولت من دكتور دارس، إلى حاكم حارس. ومن قلم إلى سوط. ثم ألا تدري أنك بهذه الإملاءات التي قدمتها تخدم قوى تحارب أي مقاومة إسلامية أو وطنية، بدون أن تسأل لصالح من؟ ولو سألت لجاءك الجواب لغير صالحك. كما أنني لا أظن أنه يوجد مؤرخ كبير ينفذ أقوالك. وليس لأي حر منصف أن يشجب حركة تحررية ضد الصهيونية. وليس لأي إنسان الحق أن يرفض معتقداً، أو أن يرغب أحداً على ترك معتقد.

ثم ألا تدري أنك فعلاً قد تحولت إلى مثقف سلطنة، وأنت تعمل في الحاضر ما عمله فقهاء السلطنة من تخريب نظرية الحكم في الإسلام لصالح الحكام المسلمين. ثم ألا تدري أن الحوار تجاوز إلى إصدارات فرمانية لا أظن مؤرخاً يحترم نفسه أن يقبلها؟!

أما أنا فأرى أن العروبة ثقافة، وليس عنصراً ولا عرقاً. وأرى أن هذه الثقافة أنبتت لها غصوناً طويلة ملأت مناطق واسعة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً. وأعتقد أن على كل عروبي مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً، أن ينمي هذه الغصون الوارفة بالمحبة والإخاء، وأن يوسع دوائر المحبة والتلاقي، ويحاول إماتة البغضاء والعنصرية والتمذهب. ومن هنا فأنا وغيري كثيرون يسعون إلى ردم كل هوة يحفرها التمذهب والتعنصر.

وهذه المدرسة التي أنتمي إليها أحس أنها كمعمل إطفاء الحرائق العربية

المستعرة، وإطفاء العلاقات العربية-الإسلامية الملتهبة، والعلاقات الإسلامية مع الديانات الأخرى. وتعتقد هذه المدرسة أن من يسعى إلى توسيع الهوة بينها لهو قاطع رحم. ومن المؤكد أنه من الأفضل للعروبة أن تحاط بإخوان خير من أن تحاط بأعداء. ومن هنا فهذه المدرسة تسعى إلى إقامة اتحاد إسلامي انتخابي على غرار الاتحاد الأمريكي. وهي تدرك أن هذا الحلم الذي سيتحقق لن يحصل بسهولة، لأن العاملين على قواطع القربى الفكرية يعملون داخل قوقعة المذهبية. وما دام المنجل الحاصد باسم شيعة وسنة وروافض ونواصب يجول به الحكام في أكثر من مكان، فهذه العوائق التي يجب أن تزول. علينا أن نسعى لتطبيق الآية الكريمة: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]. أما المتمذهبون فيسعون جاهدين لإطفاء الأخوة بين الناس، وإشعال الحرائق فيهم. ولك أن تتصور دكتورنا- وأنت تحمل هذا الكم من الحقد على إخوانك مسلمين؛ على إخوانك في الإنسانية، نظرائك في الخلق كما قال جدك أمير المؤمنين- ما هي نتائجه؟! ومن الواجب الديني أن نعمل بما أمرنا به، ولا نخالفه فيما نهينا عنه. ولا نكون من العاصين لله ولرسوله وللمسلمين وللإنسانية جمعاء.

واعذرني سيدي إذ أحاسبك بمنطقك الذي يقيم عربتك على العرق والعنصر. وطريقتك سيدي في شوفونيتك العربية طريقة الأميين الذي استعلوا في الأرض حتى سبوا نهاية الحكم العربي الذي خلقوه وعبدوه، فانهار عليهم السقف فكانوا من الهالكين؟ فلا تكن شوفونيًا حتى لا تصير شعويًا معاصرًا

بكل تأكيد.

واختتم هذا الحوار بنقطة واحدة: لو طبقنا مفاهيم دكتورنا لحاربنا المسلمين غير الناطقين بالعربية، ولما حاورناهم. وإذا أراد أن يحتاج بلغة السيف، فأنا لن أحاج إلا بالقلم الذي {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:5].

تعقيب ختامي للرفاعي

الأخ العزيز المؤرخ الوزير بارك الله فيك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، يؤسفني أن أراك تتلاعب بالألفاظ متهماً غيرك بالذي هو فيك. فإني بينت رأيي كعربي مسلم أفهم ما أريد وأقدر خطورة الوضع العربي اليوم، وأعلم أن آراءً كتلك التي تتمسكُ بها حضرتك وعليها تلحُّ هي من مسببات واقعنا المرير اليوم. فما مر من تاريخ لنا نفهمه لكن لا نتمسك به لكي يثبت بعضنا للآخر صحته أو عدم صحته، بل بعبره نتعظ وننتقل للأمام، للعمل على نهوض أمة عربية بحكم مدني ديمقراطي يضع حكم الله الوارد في القرآن مصدراً له، من حيث العدالة والمساواة وحقوق الإنسان ومعرفة الحق من الباطل. لا نستمر في جدل مقيتٍ لا يغني ولا يسمن من جوع. فليست مشكلتنا اليوم على ومعاوية ويزيد والحسين ومن قتله الأمويون والعباسيون وأحداث تاريخية قد تختلف الأمة حولها، بل مشكلتنا اليوم وما تلعبه الدول الغربية وأمريكا والصهيونية في أقطار أمتنا وتدخل دول أعجمية إقليمية في شؤوننا فاسحة المجال لتلك التدخلات الأجنبية المخطط لها منذ قرن ونيف. فقد أتعبت نفسك عزيزي الوزير في نبش التاريخ والدفاع عن باطل إيراني يمارس اليوم بمعونة عملاء له في داخل أقطارنا العربية دوراً خبيثاً توسعياً مستغلاً سذاجة المذهبية. كما اتهمت

العراق بالحرب على إيران وأنت المؤرخ الذي تزعم تحري الدقة! ولا أدري إن كنت تعلم أن الخميني كان في العراق 13 سنة معارضاً للشاه، وحين وقع العراق مع إيران اتفاقية الجزائر عام 1975م كان من بنودها أن لا يتدخل أي من الطرفين في الشؤون الداخلية للآخر. وهكذا سقط التمرد الكوردي في شمال العراق المدعوم إيرانيًا، وطُلب على أساسه أن لا يمارس خميني نشاطاً سياسياً معادياً للنظام الإيراني وقتها علناً في العراق. وتلك مصالح دول وليس أفراداً. فترك خميني العراق عام 1978م. ولا أدري كيف لم تتابع حملة نظام خميني عام 1979م ضد النظام في العراق وما كان يمارسه من قصف للحدود العراقية وما يفعله عملاؤه من تخريب داخل العراق وتهديداته علناً باحتلال بغداد. وأنت المؤرخ ولا تدري عدد المذكرات المرفوعة للأمم المتحدة حول العدوان الإيراني المتكرر حتى اضطر العراق في 22/9/1980م لردع العدوان عسكرياً. ولا تدري أن العراق بعد أن أزاح القوات الإيرانية 20 كم عن الحدود بعد أسبوع أوقف القتال من جانبه وحيداً لثلاثة أيام ودعا لحل المشاكل بالحوار. لكن إيران أصرت على الحرب حتى أرغمت بقبول قرار مجلس الأمن بعد ثماني سنوات. تلك أحداث تاريخية نعيشها ونخطئ في تقويمها أو تسجيلها، ربما لأن بعضنا تحكمه أهواء معينة. وحضرتك تحدثنا عن تاريخ مليء بالأهواء عبر 1420 عاماً، وبه تتمسك وتحاول تقنعنا بالتوثيق والتواريخ، ونحن في واقع آخر. فعلاً أمورنا صعبة لأن مؤرخينا ودعاة الفكر منا تحجرت أفكارهم وانحسرت رؤاهم وأصبحوا في كل غي يسرون، عليهم

سيطرة المذهبية ويتهمون غيرهم، ملتصقون بمنطق بعيداً عن العلمية والموضوعية، بسبب أن عجلة التقدم فكرياً وقفت عندهم تبلور حول أحداث سلف كل لديه مؤرخ وكاتب وواعظ سلاطين. وعلينا أن نفقد عقولنا في عصر العلم والتنوير ونتمسك متعصبين لهذا المؤرخ أو ذاك بحسب هوى النفس وما ثبت في العقول من فساد فكر وتلوث آراء. أكرر ليس في أسلافنا من هو بريء بالمطلق وغيره مذنب بالمطلق. وأنا لم أقل إن يزيداً انتخب بالإجماع أو بويج، إنما قلت بالأكثرية. فلنلاحظ دقة كلامنا عند الحوار أيها الأخ العزيز. تلك حقائق بغض النظر عن رأيي ورأي حضرتك. ومع الأسف تفسر الآيات حسب أهواءك وفهمك المرتبط بتلك الأهواء، كأنك تتعمد أن تسيء فهم ما أقصده، وتفسره كما يفرضه هواك للتفسير. فالبغي والآية التي ذكرتها كانت لبيان تعنت إيران في حربها مع العراق، أي حول حدث عصري مقصود ولا علاقة له بأحداث تاريخية تعشعش في ذهن حضرتك لأسباب مذهبية معينة، لا تعنيني لا هي ولا أي مذهب آخر. فعندي تلك جعلت الإسلام شيعاً كل على هواه ومبتغاه بغض النظر عما يقوله الفقهاء.

فلننصف المحاور في حوارنا. ولم أقل إن هناك أفضلية لمن آمن قبل الفتح عنصرياً كما حضرتك أتعبت نفسك بالتفسير والمصادر. بل هناك أفضلية للمهاجرين والأنصار ومن أسلم قبل الفتح، ولجميع المؤمنين عند الله الحسنی. فإذا اجتهد المسؤول بتفضيل لهم عينياً فتلك حسب فهمه ومعه من شرع له من فقهاء. واليوم الجماعة الذين تدافع عنهم يحسبون للعملاء

ضد وطنهم خدمة جهادية يتميزون على غيرهم. فإذن أيها الشاعر:

لَا تَنْتَهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وبالمناسبة رغم أنني فيزيائي، فلي ديوانان من الشعر وليس المنشور

الشعري!!

أما ملاحظاتي حول حضرتك فلم ابتدعها، بل هي مستلة من كلامك وآرائك ولا تزال حضرتك تكررهما، فهي جزء أساس لتفكير حضرتك. وليس لنا احتجاج عليك، بل رأي آخر. والأمر لمن يقرأ من الآخرين ويحدد الموقف الموضوعي من غير الموضوعي.

أما مقترحاتي لتفادي واقعنا اليوم عربيًا أولاً فهي وجهة نظر تفرضها ظروف في بلدك وبلدي وبقية الأقطار العربية. وليس هناك مواطن عربي إسلامي موضوعي (غير متطرف مذهبياً) لا يرى حقيقة دور إيران المخرب إسلامياً والمعتدي على الأمة العربية وطنياً وقومياً. فلا مبرر لتكرار الدفاع عن حالة بارزة شائنة أمام كل منصف. ومن لا يرى ذلك لا يقتنع أنه مؤرخ باحث تهمة الحقيقة وهو عنها للباطل منحاز.

لقد كررت حضرتك عبارات تقويمية وكأنك مكلف بحثياً لتقويم فيما إذا كنا عالمًا أم لا لأننا لا نتفق مع طروحات منغمسة في تاريخ وأحداث تكتنفها خلافات وتناقضات وافتراءات وعدم موضوعية. وحين نكرر في كلامنا تلك السمات محاولين بيان ما هو خلط للأحداث لا يعني أننا نناقض أنفسنا، بل نفضح تاريخاً ساهمت الحركات الشعبية في تزييفه. هذا كلام

مؤرخين كبار عربياً وعالمياً مثل الدوري والعلي وجواد علي وغيرهم كثير. فأنا حين أكون أمام هكذا تناقض تاريخي عليّ أن أستخدم عقلي والطريقة العلمية في البحث عن الحقيقة، لا اتباع المسعودي كما يقول أو الطبري كما ينقل أو غيرهم. فلا تناقض فيما قلته وأقوله، بل لكل حدث ظرفه ومكانه وزمانه. وجدي الإمام علي لم يكن حصيفاً في موقفه من قتلة عثمان بغض النظر عن صحة ما حدث أو بطلانه. فاحتضانه للقتلة في جيشه وقبول مبايعتهم وعدم تطبيق العدالة بحقهم إنما هو قلة حكمة وتجاهل للعدل. أقول هذا إنصافاً للحق بعيداً عن التعنصر. ولا أريد الخوض في أمور كثيرة لم يسجلها التاريخ والمؤرخون بعيداً عن الهوى. لذا فتلك لا تلزمني، بل فهمي للقرآن وعقلي وما تعلمته من أسلوب البحث العلمي لا البحث الهوائي والغائي. وجدير بنا أن نعيد النظر في كل الإرث التاريخي والفقهية على ضوء الفهم الصحيح للقرآن والمعطيات العلمية والفكرية الحداثية، لنخلص هذا الإرث من كل افتراء لا يقبله القرآن ولا يقره عقل. فليس مهماً أن يقال هناك مهدي منتظر قاله آخرون، بل هل هذا منطق ومن أين جاءت الفكرة ونحن نعلم آلاف الأحاديث بين موضوع وكاذب؟! وما يجري اليوم من كلام خرافي حول المهدي في إيران والعراق لتشيب منه الأطفال، وعلى الله يُفترى وبإرادته وحكمه يُشرك. وأنا لم أتحدث بأسلوب بحثي حول الإمامية متى بدأت إنما ذكرت أحداثاً زمن البويهية والصفوية من منطلق حقيقة أن التشيع تجاوز أهل البيت ليتبناه الفرس ومن ثم زج افتراءاتهم التراثية مجوسياً وزرادشتياً فيه، لا

علاقة لآل البيت فيه. ومحمد بن الحسن العسكري إكذوبة بويهية فالحسن لم يعقب أساسًا. ولهم في ذلك غاية لاحظناه عبر التاريخ. فالمسألة ليست عداءً عنصرياً، بل وقائع مدركة عملياً لا افتراضاً. وغريب جنابك تحاول تشويه تاريخ العرب في العراق وإن الفرس كانوا محتلين للعراق!! وتشوه حقائق معركة القادسية وما تلاها من معارك (فهل تأكدت من مقام أبي لؤلؤة في إيران وزيارته أم لا زلت تشك في ذلك؟). وأي تاريخ تصدقه بشأن عبد الله ابن سبأ ودوره في تأليه جدنا الإمام علي؟

أخي العزيز أنا لست مع أي نظام في جزيرة العرب أو الخليج العربي أو اليمن السعيد بلا سعادة! ولست مع فئات طائفية تخدم أغراض أجنبية باسم المذهبية المشتتة للعرب والمسلمين. وأدين قصف أي بريء في اليمن والسعودية وسورية والعراق وليبيا كما أريدك أن تدين قتل أي بريء في اليمن والسعودية وسورية وليبيا والعراق على أيادي أجنبية وطائفية. ولإيران مرتزقة ولا أقر أي تدخل أجنبي أمريكي - غربي - روسي - صهيوني - إيراني - تركي في أي قطر من أقطار الأمة العربية من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي. ولا تمرر عليّ إيران دعواتها المسييسة بشأن فلسطين أو مستضعفين مسلمين في أمة العرب. ولست أنا فقط من يقول خميني جاءت به مخابرات أجنبية لأهداف معروفة، بل ذكر ذلك خبراء ودراسات لا بد أنك بقدراتك الفكرية السياسية تابعت ذلك. ولا أنكر أن أكثر الحكام العرب بهم أتى مستعمر وإن الجامعة العربية أسسها من خلف الكواليس الانكليز. لكن كل ذلك لا

يعيقني من الدفاع عن الأمة ضد أي تدخل أجنبي أو إقليمي يتخذ من الطائفية وسيلة للسيطرة على الأمة من جديد. تلك هي هويتي الفكرية الثقافية السياسية تقودها عقلية علمية لا أفتخر بها على أحد، لكنني بها أعتز ويعرفها من العرب والعالم ممن يشتغل في حقل الفيزياء. لكنني وجدت حضرتك تغرد خارج سرب حقيقة ما الأمة العربية بحاجة إليه. ولأنني احترم كل مثقف عربي وإن اختلف معي، وددت محاورتك من أجل الأمة وليس حبًا في الحوار لا سيما إذا أصبح جدالاً عقيمًا. وعليه أتوقف عند هذا ونترك الرأي للآخرين الكرام. وتبقى حكمة إن الاختلاف لا يفسد للود قضية قائمة إن شاء الله بيننا إخوة عرب مسلمون ومسيحيون هدفنا مصلحة أمة العرب أولاً خطوةً صالحةً في صالح الإنسانية جميعها.

وختامًا أقول شعرًا لا نشرًا شعريًا!!

عَصَفَتْ بِنَا الْخُطُوبُ أَيُّهَا السَّادَةُ الْعَرَبُ

أَأَصَابَكُمْ صَمَمٌ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ غَضَبًا؟

أَمْ بِكُمْ الْأَحْدَاثُ فَعَلْتَ فِعْلَهَا فَالْكُلُّ لُجَمٌ

أَوْ الْبَعْضُ مِنْكُمْ أَصْبَحَ لِلْمَهَانَةِ بِقِنَاعَةٍ يَطْلُبَا

أَمْ عَلَيْهِ اسْدَلَّتِ السَّمَاءُ لِلْعَمَى غِشَاوَةً

لِلْأَلْوَانِ لَا يَفَرِّقُ فَالْأَبْيَضُ أَسْوَدٌ أَوْ مُضَبَّبَا

فَالْحَقُّ مَعَ الْبَاطِلِ قَدْ تَدَاخَلَ مُتْرَاكِبَا

فَلَا هُوَ لِلْحَقِّ مُدْرِكٌ وَلَا هُوَ عَارِفُ الْكَذِبَا

يري اللصّ في داره عابثًا وسارقًا
يحسبه لعمامته فقيهاً يُقيم العدل والأدبا
أهوّ ضعفُ رؤية أم فقدُ بصيرةٍ
أم البعضُ للعروبةِ فاقدٌ هوّيتها للأعداءِ ينتسبًا
قد ألامُ على وَصفِ البعضِ بما أقوله
لكنني على الحقيقةِ لستُ مُتجاوزًا والأسبابا
فوطنُ العروبةِ اليومَ يموجُ بهمُ غضبا
وهلْ من يوالي أعداءَ أمته عليها يُحسبا؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أبو ليث علي عطية الرفاعي .
إلى اللقاء

الأخ العزيز الدكتور المتمرس أبا ليث الرفاعي بارك الله فيك .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، ردي أولاً:

يؤسفني أن يكون هذا آخر رسالة منك تتضمن حواراً، ولكن أُملي أن يستمر بيننا التواصل. ولذا أقول: إلى اللقاء ولا أقول وداعاً، فربما نلتقي على محبة، أو نفترق على مودة. ولن نجعل للانفعال مسرباً، ولا للتمسك بالخطأ- إذا تبين- مجالاً. وأسرع أيضاً فأؤكد لك سيدي أن ليس في الحوار الجاد تلاعب بالألفاظ، وليس فيه اتهامات، وإنما هو البحث عن الحقائق بطرق مختلفة. وأنصح نصيحة أخ صفت مشاركته: أن تقيم أي حوار معي أو مع غيري على هذا الأساس، وليس على أفكار مسبقة مسلم بها.

وبما أنك تودع هذه الساحة غاضباً علي، متهما إياي بشتى التهم، فسأتحاور مع حوار مودع مشفق من الانقطاع، ومن الانفعال. وسأتحدث معك بلغة علمية رصينة، وبنصائح أخ أكبر منك سناً، فأنا الآن في الواحد والثمانين من عمري، أملك من التجارب التاريخية والدينية ما أظنه مفيداً، ماعدا الفيزيائيات فأنا تلميذ لك فيها. وإذا كان كذلك فمن حق الأخ الأكبر نحو أخيه الأصغر واجب النصح.

بعد هذه المقدمة أدخل في الحوار معك ربما للمرة الأخيرة كما طلبت.
أولاً: لقد عرّفت نفسك بأنك قومي عربي مسلم، وليس لي اعتراض فيما

عرفت نفسك به. فإن كنت تفتخر بالعروبة كقومية، فتلك عصبية جديدة بإخراج أنيق. وإن كنت تفتخر بالثقافة العربية الحاملة للثقافة القرآنية الإنسانية، فإن عوامل اللقاء متوفرة بكمية كافية. لكن انطباعي عنك- كما صرحت بها كل مقالاتك السابقة- هو أنك قومي عربي متطرف، قائم على أساس عرقي، وليس رساليًا. وهذه العرقية تجني على ثقافة الإسلام العالمية، وتعمل بجدية على تقطيع الأواصر بين الشعوب. ولو فهمت العروبة أنها ثقافة ولسان، لما وقفت من الأعاجم - والأغلبية الإسلامية الساحقة منهم- ذلك الموقف الذي اعتبرتهم فيه أعداء يكيدون للعروبة. وعممت القول فلم تبق وشيجة قريبي دينية أو حضارية، إلا وقطعتها. وكنت في هذه القضية كـ (مثل المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) كما في الحديث الشريف. هذا هو الخطأ وليس اتهاماً.

فإذا اتفقنا أن العروبة ثقافة قرآنية إنسانية ليس فيها احتكار لعنصر، ولا استحواذ لعرق، فإن المسافات قد تقاربت والتمذهب قد انحل والتعصب فقد كلماته ومنطقه.

ثانيًا: من خلال كتاباتك يظهر بوضوح اعتمادك على المذهبية أساسًا لتقويم الصواب. ومهما نفيتها عنك فهي ثابتة لديك. ولربما أنك لم تشعر بها لشدة انصهارك بها واندماجك فيها بحيث ام تعد تعرف ما فيها من خطأ؛ لأن التمذهب قد تجسد قولاً. وأنت يا دكتور تعكس -ربما من حيث لا تدري- معضلة الفرق الناجية، حيث اعتبرت كل الأعاجم وكل الإمامية، ومن

ليس على شاكلتك، يكيّدون للإسلام العربي، كأن الإسلام اقتصر على العرب، ولم يكن عالمياً. وانت بهذا يا عزيزي الفاضل وسعت دائرة الخلاف، بدل أن نعمل لتقارب المتباعد، وردم الهوّات، ولأم الجراح. بل أجد كلماتك كالخنجر الناشط في تقطيع أواصر العلاقات الإنسانية، مع الأسف.

ثالثاً: وطالما وأنت تتهمني بالتعاطف مع المقاومة ومع إيران الداعمة للمقاومة، ففخر كما يقال لا أدعيه. وفعلاً أنني أؤمن عالياً موقف إيران من القضية الفلسطينية ومحاربة الأطماع الغربية، وليس لي اهتمام بما وراء ذلك. ولكي تعرف محاورك كما عرفك، فأقول لك: إني خريج في مدرسة أمير المؤمنين زيد بن علي. وتعلّمت فيها تولي الراشدين ولا أقول فيهم إلا خيراً. وتعلّمت فيها أن حصر الإمارة في أهل البيت غير ثابت، وأن الإمارة لا تقوم على الفضل فالفضل لا يعلمه إلا الله، وإنما تقوم -على حد تعبير أمير المؤمنين زيد نفسه- على (مصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها). مع العلم أنه كان يفضل شخصياً أن يكون علي هو الإمام بعد رسول الله، ولكن مصلحة المسلمين هي الأولى والأهم في نظره. ومن الواضح أن فكره السياسي ملك هذه الرؤية الصافية. فانظر إلى أي إنصاف بلغه الإمام زيد، وأي تعاليم ملأ بها قلوب تلاميذه. وتعلّمت في مدرسته ألا أعصي ولا أتمذهب. وذلك عن طريق قاعدتين فقهية وفكرية: فأما الفقهية فبقاعدتها (الإمام حاكم) أي أنك في الصلاة تؤم أي إمام من أي مذهب. وأما الفكرية فبقاعدة (كل مجتهد

مصيب). ومن ثم فقد منعت هاتان القاعدتان أي تعصب واي تمذهب. وأريد أن أعرفك إن لم تكن تعرف أن بين الزيدية من يضم ويسربل، ويقول: "أمين" ولا يقولها. وكان فيها أئمة ينتمون فقهياً إلى هذا المذهب أو ذاك. وإذن فالزيدية مدرسة علمية فكرية، توجب الاجتهاد وجوباً على كل قادر، ولا تتقيد بمذهب، بل تأخذ جيد ما عند هذا وذاك، ثم تضيف إليه وتطوره. فهي منفتحة على كل الينايع. وما لم تره صواباً فهي لا ترفضه، وإنما تحاوره وتعرض أفكار كل المذهب وتعليقاتها، ثم تعقب على كل ما لم تره، فتقول: (ولنا..). ثم تشرح ما لديها. وحتى الوهابية وهي في أوج تطرفها الأول، دخلت معها في حوار رائع وراقي تولاه إمامان زيديان كبيران هما ابن الأمير والشوكاني.

فهذه جذوري الفقهية والفكرية خالصة من التعصب بريئة من التمذهب. ومن ثم لا تستطيع أن ترميني بالتعصب ما دمت قد عرفت-أو كنت عارفاً- طبيعة مدرستي، التي تسمح لي بالاجتهاد المخالف.

رابعاً: وأما قولك: (وأعلم أن آراءً كتلك التي تتمسكُ بها حضرتك وعليها تلحُ هي من مسببات واقعنا المرير اليوم. فما مر من تاريخ لنا نفهمه، لكن لا نتمسك به لكي يثبت بعضنا للآخر صحته أو عدم صحته، بل بعبره نتعظ، وننطلق للأمام). فدراسة التاريخ للعبرة، وتجنب السلبي والاستفادة من الإيجابي هو ما أددن حوله، وأنادي به. ومع ذلك فدعوتك لأخذ العبرة والاعتبار يتناقض مع قولك: "نفهمه ولا نتمسك به!!"

أتدري أخي أين يكمن هذا التناقض؟ إنه يكمن في لغة الفرقة الناجية لا في لغة التاريخ. فإذا فهمنا التاريخ فيجب التمسك بعبره حتمًا لاستفيد منها؛ لأن ما أخذ من قراءة فقهاء السلطة السياسية هو على غير ما يقرأه المؤرخون المنصفون. فالمؤرخ الثبت هو من يسعى إلى إزالة التضليل والتعتيم من على أي واقعة، وأي حادثة للعبرة والاعتاظ. أنني عندما أدرس سلبيات نظام معاوية، فأن كوامن المذهبية تنفجر وتعبّر عن نفسها بطريقة فقهاء السلطة السياسية. لقد قلت لك أنني لا أدين هذا ولا ذاك، وليس مهمتي كمؤرخ أن أدين هذا، وأفسق ذاك، وإنما أنا أنقد السلبيات التي تجاهلت تاريخ الإسلام وقدمت تاريخ المسلمين كامتداد لإمارة الراشدة. فإذا رأيت أن معاوية مثلاً هو من بغى على إمام حق، وأول من ألغى الشورى، وأول من ألغى الانتخاب، وأول من سنّ الوراثة، وأول من سنّ الشتم، وأول من قتل صبراً، فسأساعد على قراءة التاريخ كما كان عليه، أو قريباً مما كان عليه. وعندئذ تبرز السلبيات كاشفة عن وجهها القبيح، لا لنعيد صياغتها بألوان براقة تخفي عنها ندوبها وتشوهات، وإنما لنقتلع جذر المرض من أصوله لكي نتجنبه. وإلا كيف لنا أن نلتقط العبرة والاعتبار؟ فالمطلوب التمسك بالتاريخ لنثبت صحة الوقائع التي أفضت بنا إلى هذا المصير.

خامساً: أما ما ذكرته من وجوب العمل على نهوض أمة عربية بحكم مدني ديمقراطي الخ فليس من اعتراض عليه الخ. وأنا معك في أن مشكلتنا اليوم ليست مع علي ومعاوية ويزيد والحسين ومن قتله الأمويون والعباسيون.

ولكني يا عزيزي أواجه سلبيات نظام معاوية الفردي الأسري في كل أنظمة اليوم، وأراه جاثماً فوق كل ملك ورئيس. ولا أرى طيفاً ل علي ولا ل عمر ولا ل أبي بكر. ولكي نخلص من نظام دولته العميقة، فلا بد من التخلص من نظامه ومن أتباعه، وفتاوى فقهاء سلطته، حتى لا يظل نموذجاً خادعاً. فنحن هنا لا نبحث حق علي في الإمارة، فهذا موضوع آخر، وإنما نبحث في نظام جرّ علينا المصائب من كل اتجاه. فالخلاف هو حول منهج، لا حول أشخاص.

سادساً: وأما أن مشكلتنا اليوم هي ما تلعبه الدول الغربية وأمريكا والصهيونية في أقطار أمتنا، فهذه حالة مشاهدة لا يمكن أن ينكرها أحد. ولكن علينا أن نعرف لماذا أصبحنا تابعين بعد أن كنا -كمسلمين وعرب- متبوعين. وأما تدخل دول أعجمية إقليمية في شؤوننا، فتلك مسألة مختلف عليها عند العرب أنفسهم. فالشيعة العرب يخالفونك فيها. ولك الحق أن ترى ما ترى. ولكن من اليقين لا مساواة بين أجنبي ومسلم يشاركك الدفاع عن القدس. ومع ذلك فنسأل أنفسنا: لماذا يستجيب البعض للتدخل الخارجي؟ ولماذا يستجيب البعض لغزو بلد عربي لعربي، لا من أجل وحدة، بل من أجل تمزيق، وتكريس حدود بين الدول، كما هو حاصل الآن في المنطقة العربية؟ إننا يا أخي الدكتور بحاجة إلى دراسة معمقة تخترق العاطفة الضارة تماماً وتواجه حرّ الواقع.

سابعاً: أما أنني أتعبت نفسي في نبش التاريخ والدفاع عن باطل إيراني

يمارس اليوم بمعونة عملاء له في داخل أقطارنا العربية، فقول إعلامي سئمت تردادته العربية والجزيرة ضد من ليس مع دولهما. ومع ذلك فأنا لم أتعب نفسي عن باطل إيراني وحق عربي، فموضوعي لا يمت إلى هذه القضية بصلة. وما ذكرته هو موقف سياسي أبعد ما يكون عن الموقف العلمي والبحث والتنقيب. وإيران لا تحتاج مني أن أدافع عنها، فلديها من يدافع عنها من العرب أنفسهم، من العراقيين أنفسهم، وفي أكثر من مكان.

ثامناً: وأما قولك إني أزعم لنفسي أنني مؤرخ وأزعم تحري الدقة! وضربت على قولك أمثلة. ومن المؤكد فأنا لم أدع ذلك، بل أنت من منحني هذا اللقب الذي أشكرك عليه إن كنت استحققه، وإلا فمجاملة منك أدبية. واستحضر هنا قول الإمام العظيم الشافعي رضوان الله عليه:

وقد أطاعك من أعطاك ظاهره * وقد أجالك من يوسيك مستترا
وأنا أعلم أنَّ الخميني كان في العراق لمدة 13 سنة معارضاً للشَّاه، لكنه لم يُمكن من العمل إلا وفق ما يريده صدام، وإذا اصطَلح الرئيس والشَّاه طُلِبَ من العراق إخراجه منها فاستُجيب له. بعد توقيع العراق وإيران على اتفاقية الجزائر عام 1975م حيث كان من بنودها ألا يتدخل أي من الطرفين في الشؤون الداخلية للآخر، وكان من نتيجتها أن كَمَنَت حركة الأكراد المظلومين بدون أن نخمد، في مقابل خسارة أرض عربية تنازل عنها قائد القومية العربية للعجمي - حسب أغلب تعبيراتك -، فهذا ما أعلمه فإن كان عندك في هذا فاصْطَحِر به.

كما أنك لم تثبت لي كما طالبتك أن إيران هي من بدأ العدوان على العراق، ولكنك هربت من مواجهة هذه الحقيقة إلى أيام الحرب حيث قلت إن الإمام الخميني كان يمارس قصف الحدود العراقية وما يفعله عملاؤه من تخريب داخل العراق وتهديداته علناً باحتلال بغداد، وكأن بغداد لم تقصف حدوداً ولم تفعل شيئاً. فأنت عزيزي الكريم تتحدث عما صار لا عمن ابتداء - حيث الحوار حوله - أما العدوان الصدامي فقد أشتعلت نار الحرب وللحرب أعرافها الجهنمية، وإذا سلمنا جدلاً بأن إيران هي التي اعتدت على العراق فمن الذي اعتدى على دولة الكويت المجاورة وهي التي دعمته، فلما اشتد ساعده رماها. فنحن يا دكتور نقرأ التاريخ لنستفيد من أخطائه، وليس لتغطيته بستار رقيق من التبريرات والتحليلات نُضخِّمها بحسب توجيهات خفيّة سياسية ومذهبية.

تاسعاً: ومن العجب العجائب أنك تقول إن مؤرخينا ودعاة الفكر منا تحجّرت أفكارهم، وانحسرت رؤاهم وأصبحوا في كل فيّة يسيرون، عليهم سيطرة المذهبية، ويتهمون غيرهم، فبالله عليك من الذي يشعل المذهبية بين العرب أنفسهم بتصنيف هذا رافضي، وهذا ناصبي؟ وأخشى أن أضعك بين هؤلاء المصنّفين وأكاد أعتقد أن بغضك لإيران نابع من باب المذهبية. وأنت تعرف أن فارس حكمت العراق وغير العراق مرات، وأن الفكر والأدب نما في ظلالهم، وأنهم حققوا الكثير من الانتصارات على البيزنطيين، وأن شاعر العروبة الأكبر المتنبي مدح عضد الدولة الفارسي بأجمل قصائده مع

أنه لم يكن يرى صلاحًا في الحاكم العجمي فهو يكره أكامه وليس عنصره. إذ لم يكن عند القوم صراع مذهبي، وإنما هو صراع سياسي، وكان الناس يهاجمون من ظلم منهم ويمدحون من عدل منهم، لم يحسبوا لمذهب حسابًا وإنما قاسوا أعمالهم بميزان العدل والظلم. أما أنت فالمذهبية والعنصرية تفوح من كلماتك فحيح أفعى محصورة، حتى إنك - مذهبياً شامخاً - لم ترعَ لثوار أهل البيت مكاناً فظلمت الحسين والحسن بن الحسن وزيد بن علي ويحيى بن زيد ومعظم الطالبين لسبب مذهبي سياسي، وأنت تعرف أن في بعض العلويين ظلمة، وفيهم جبايرة، لكن مذهبيتك ساقتك إلى نقد من أحسن عملاً. ودعني أداعبك فأخفف من قسوة الكلام فأهديك بيت شعر للإمام الشافعي:

إن كان رفضاً حبُّ آل محمدٍ فليشهد الثقلان أني رافضي

وهو يقصد أهل البيت الذين تمسكوا بمنهج جدهم ولم يتنكبوا عنه من أمثال الذين ذكرتهم، ومع الأسف نقدتهم.

كما أداعبك بهذا البيت الشعري لطرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وأتمنى لك من كل قلبي كصديق لك أن تأتيك الأيام بما لم تكن مزوداً به كما قال طرفة بن العبد أيضاً:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

عاشراً: وقلت إنك لم تقل إن يزيداً انتخب بالإجماع أو بويع، إنما قلت

بالأكثرية، ولكنك قلت ما هو أفضع من ذلك عندما قلت: «وثار [الحسين] على حكم بايعه أكثرية الناس فهو - بحكم القوانين - شرعي». وقلت أيضًا عن نظام يزيد إنه «نظام منتخب». فإذا أضفت كلمة الشرعية إلى الانتخاب، فماذا أبقيت للحق من صديق؟ فأنت تعلم والمؤرخون يعلمون أن يزيدًا لم ينتخب، وإنما ورث، وأنتك بهذه اللفظة وضعت يزيد الوراثي في صف انتخاب الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن. واعترفت أن كلمة الإجماع لم تقلها، فاعذرني عليها فأنا كتبت ما كتبت من مفهوم كلمات أشد قسوة وأكثر ظلمًا.

حادي عشر: وقلت مخاطبًا لي: «مع الأسف تفسر الآيات حسب أهوائك وفهمك المرتبط بتلك الأهواء». كأنك تتعمد أن تسيء فهم ما أقصده، وتفسره كما يفرضه هواك للتفسير. فالبغي والآية التي ذكرتها كانت لبيان تعنت إيران في حربها مع العراق، أي حول حدث عصري مقصود ولا علاقة له بأحداث تاريخية تعشعش في ذهن حضرتك لأسباب مذهبية معينة، لا تعينني لا هي ولا أي مذهب آخر.

ولكن ما من سبيل إلى فهم ما قصده وتكتمت في إبرازه، لأنك تحت عنوان الآية تحدثت عن معاوية ويزيد، ولم تذكر إيران ببغي. فربما كان ذاك مقصدك لكنك لم تصرح ببغي إيران على العراق، فسار الذهن تلقائيًا إلى من بغي على أمير المؤمنين. بالإضافة إلى أن إيران لم تبغ على العراق حتى نفهم نواياك، كما أنك لم تربط البغي بها كما أشرت. فكيف نفهم أن

قصده أن إيران هي الباغية؟ ثم إنك لا تعترف بأن إيران هي إحدى طائفتي المؤمنين أصلاً، فكيف لنا أن نعرف ما تسره، وأنت لم تتحدث عن إيران في هذا الموضوع، وإنما تحدثت عن الإمام الحسين والملك يزيد.

ثاني عشر: وقلت: «ولم أقل إن هناك أفضلية لمن آمن قبل الفتح عنصرياً.. كما حضرتك أتعبت نفسك بالتفسير والمصادر». ولكنك قلت عزيزي: «مع أنني لا أقر أي تفاضل بين المؤمنين إلا بتقوى الله، لكنني أعرف كما ينص القرآن على ذلك أن هناك أفضلية للمهاجرين ولمن أسلموا قبل الفتح - فتح مكة» وقلت: تلك «آية قرآنية صريحة، ربما استغلت من قبل من لم يدخل الإيمان قلوبهم بل أسلموا. فهؤلاء [أي الأمويين] وجدوا نصّاً قرآنياً يساعدهم على ما يفعلون.. فالأفضلية وجدت لها نصّاً يبررها». فهذا القول إقرار صريح للأمويين والعباسيين وغيرهم بأنهم فهموا من نص آية حق تفضيلهم في العطاء على أساس عنصري، لأنك قلت إن نصّاً قرآنياً يعتمدون عليه. فأني نص هذا الذي يبرر العنصرية؟

ثم استرسلت لتأكيد ذلك الفعل الشنيع - ربما بإملاء من عقلك الباطن - بقولك: «أما ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. وليس أفضلكم! إنما وردت في آية أخرى لها منطقتها. الخ. ومن العجيب أنك فرقت بين التقوى والفضل مع أن الكلمة الأخرى لمعنى الأولى، وليس لها بالمعنى العنصري صلة، وهي لا تعني التفضيل في العطاء بأية حال. فالفضل في هذه الآية لا يمت بصلة إلى التفضيل في العطاء. وزاد الطين بلةً أنك قلت: «إذا اجتهد المسؤول

بتفضيل لهم عينياً فتلك حسب فهمه ومعه من شرع له من فقهاء».

ثالث عشر: ومرة أخرى عزيزي وضعت عليّ أسانيد قول لم أقله، ولا هو يُستوحى من أي كلمة قلتها؛ قلت إنني أعتبر «الجماعة الذين تدافع عنهم يحسبون للعملاء ضد وطنهم خدمة جهادية يتميزون على غيرهم». فقوّلتنّي ما لم أقل، فلماذا التقويل أيها الدكتور المتمرس؟

وبهذه المناسبة دعنا نفهم ما هو مصطلح العمالة لنطبقه على المتهم، فإن طُبق عليه فذاك، وإلا فلا ترمِ التهمة على من لا تنطبق عليه. ودعني أسأل: هل يعتبر الشيعي عميلاً للشيعي وهو معه على مبدأ واحد؟ وهل يعتبر السني عميلاً للسني إذا هما على مبدأ واحد؟ وهنا لا تنطبق العمالة على كليهما، لأن حقيقة العمالة هي أن يقوم الإنسان بخدمة ضد دينه ومعتقداته. فالإخوان المسلمون مثلاً يدعون إلى وحدة إسلامية، فهل من تعاون معهم وهو على مبدأهم من الأعجم يعتبر عميلاً لهم؟ وهل كان شيعة العراق الذين وقفوا مع صدام كانوا عملاء لصدام، أم كانت قوميتهم غلبت على مذهبهم؟ يا عزيزي هناك مجالات واسعة للتوصيف بدون الاتهام بالبهتان. أما كلمة العمالة فهي كرة سياسية يتداول ركضها السياسيون في ملعب الأطماع.

رابع عشر: واسمح لي عزيزي أن أقول لك إن بقية مقالك إما هزال مذهبي أو سقم سياسي، لا حاجة لي للوقوف عنده فقد سبق الحديث عنه، غير أنني أقف عند قولك: «وجدي الإمام علي لم يكن حصيفاً في موقفه من قتلة عثمان، بغض النظر عن صحة ما حدث أو بطلانه، فاحتضانه للقتلة في

جيشه وقبول مبايعتهم وعدم تطبيق العدالة بحقهم إنما هو قلة حكمة وتجاهل للعدل». وهنا تمثلت وأنت تخترق القرون راجعاً مسرعاً إلى أن وقفت في باب خيام الأمويين فالتقطت منطقهم. كان يكفيك أن تقول عن الإمام علي إنه لم يكن حكيماً، أو عنده قلة حكمة، فهذا القول قد قال به كثيرون. أما أنه لم يطبق العدل أو تجاهله فقول لم يقله إلا بعض الأمويين الأشد عداًء له، فلا يذهب بك التمدّج إلى حد أن تتهم إماماً وُصف بالشّيء فبالعدل. خامس عشر: وقلت: «وغريب جنابك تحاول تشويه تاريخ العرب في العراق وإن الفرس كانوا محتلين للعراق». أنا لم أقل إنهم كانوا محتلين، بل كانوا ساكنين فيها إلى أن أجلّتهم عنها جيوش المسلمين!!

وقلت إني أشوه حقائق معركة القادسية وما تلاها من معارك. فأنا لم أشوهها ولم أمتدحها، وإنما تحدثت عن الدوافع المحركة لها، وقلت إن دوافع معركة القادسية غير دوافع معركة ذي قار، وأن دافع هذه عربية محدودة، ودوافع القادسية إسلامية منتشرة. فأين التشويه؟ ألم أقل لك إنك تقولني ما لم أقل؟ وعُدت تسألني عن مقام أبي لؤلؤة في إيران للتدليل على فساد معتقد العجم. فأنا لا ألقى لمثل هذا أدناً؟ فإن صح فرأيت أنه فعل فئة قليلة العدد لا تصح أن تكون دليلاً على أن كل الأعاجم يكيّدون للعرب والإسلام. ثم إن هذا الموقف الشائن بكل تأكيد ليس رأي أمة مسلمة من الأعاجم فيهم السني وفيهم الشيعي إلخ، وقد يوجد أمثالها في كثير من الدول كثيراً. وعُدت تتحدث عن أسطورة عبد الله بن سبأ فأولاً يجب الاتفاق على حقيقتها،

وأنها ليست اختراع إعلام سياسة نشط ومتسلط، وانظر ما كتبه عنها الدكتور طه حسين بالقضية لم تثبت تاريخيًا حتى نجعلها حجة.

سادس عشر: وأصدقك دكتورنا المتمرس أنك: «لست مع أي نظام في جزيرة العرب أو الخليج العربي ولا اليمن السعيد بلا سعادة!» إلى آخر الفقرة، لأنك مع نفسك ومذهبك فقط، وأخاف عليك كل الخوف من أن يصدق فيك قول النواسي البغدادي:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئًا وغابت عنك أشياء
سابع عشر: أنا من المؤمنين بأن التخصص فيما هو عليم به أفضل من التناول على ما ليس له به علم تام، ولا شك كما يبدو أنك عالم في الفيزياء وهو علم عظيم ومفيد، فظل فيه حتى لا تتيه أشرعتك في بحار لا تحسن السباحة فيها.

والشكر لله على ما أعطاك من موهبة الشعر، حتى إنك نشرت ديوانين، ومع الأسف فليس هما لدي حتى أتمتع أذني بالحنان، لكن المقطوعة التي أرسلت بها ليست في الواقع سجعًا ولا نظمًا، وكنت أحسبها من الشعر المنثور، ولكني بمراجعة قوانين الشعر المنثور لم تنطبق عليها!!

وختامًا أقول بصدق إخاء إن ما رويته من الشعر ليس شعرًا ولا نظمًا أيضًا، فالمقطوعة كلها أصلاً غير موزونة، كقولك مثلاً:

«عَصَفْتُ بِنَا الْخُطُوبُ أَيُّهَا السَّادَةُ الْعَرَبُ»

وملحونة كقولك:

«أو البعض منكم أصبح للمهانة بقناعةٍ يَطْلُبُها» والأصح: يطلب أو يُطلب
وكقولك:

«لألوانٍ لا يفرّقُ فالأبيضُ أسودٌ أو مُضَبَّبًا» والصواب: مُضَبَّب
وكقولك:

«أم البعض للعروبة فاقْدُ هويَّتها للأعداءِ يَنْتَسِبُها» والصواب: ينتسب
وكقولك:

«وهل من يوالي أعداءَ أُمَّتِهِ عليها يُحَسِّبُها» الصواب: يُحَسِّبُ
وإلى اللقاء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابن عمك وصديقك

زيد بن علي الوزير

.